

ما اللب على عليّة وسلم  
سيرة ممد



تأليف / سيد مبارك

الناشر

المكتبة الإسلامية  
٥١٤٥٢٢٠ - ٥١٤٢٥١٧

استاذ



# وقفة ربي زمني علما

حقوق الطبع محفوظة للناشر

رقم الإيداع  
٢٠٠٤/١٧٤٣



## مقدمة المؤلف

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فهو المهتدي ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾

[ آل عمران : ١٠٢ ]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [ النساء : ١ ] .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا \* يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾

[ الأحزاب : ٧٠ - ٧١ ] .

أما بعد ... أخي القارئ

هذا الكتاب الذي بين يديك يبين لك قصة أعظم إنسان خلقه الله في الوجود فكل صفحة من صفحاته وكل سطر من سطورهِ وكل كلمة من كلماته تنطق بعظمة هذا الإنسان ولا عجب في ذلك !! . لأنها قصة سيد العابدين وإمام المتقين

الصادق المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ .

ولا ريب إنك تدرك أن قصة حياة النبي ﷺ لا تكفيها مجلدات لأنها قصة حياة إنسان جعله الله تعالى أسوة حسنة لمن أراد رضاه وطمع في جنته ألم يقل الحق تبارك وتعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ﴾ [الأحزاب : ٢١] .

لهذا كله يثير دهشتي !! ما يفعله مسلموا القرن الواحد والعشرين ، عندما يحين مولده ﷺ تجمد المسلمون في كل بقاع المعمورة يحتفلون بمولده بإلقاء القصائد والبيانات وإحياء البدع وإماتة السنن ونشر المنكرات وترك الهدايا ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وسبحان الله .. أمة تحتفل بمولد نبيها ﷺ بالكلمات والقصائد لا بالأعمال والمقاصد وما في ذلك من رياء وضياع لثواب الدنيا والآخرة .

ألا فليعلم كل مسلم ومسلمة أن النبي ﷺ قال : « كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى ، قيل ومن أبى يا رسول الله ؟ قال : من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى » (١) .

أخي القارئ :

بين صفحات هذا الكتاب أحاول جهدي أن أبين مواضع العظمة والعبقرية والكمال الإنساني في حياة سيد الخلق وخاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ .

ولنا سؤال ندرى إجابته جميعاً ! ما الذي جعل الصحابة من قومه مثل : أبي بكر وطلحة والزبير وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم يسارعون إلى الإيمان بدعوته ويتعرضون في سبيل ذلك إلى الأذى في المال والنفس والأهل !!؟

(١) أخرجه البخاري ، وأحمد في مسنده .

نعم .. ما الذى جعل جبار الجاهلية عمر بن الخطاب رضى الله عنه الذى أراد قتل النبى ﷺ فإذا به يعود من عنده ليقتل كل من يعترض طريق الدعوة أو يحاول أن يؤذى النبى ﷺ !!؟

نعم .. ما الذى جعل أهل المدينة ( الأنصار ) يسايعونه بأن يخوضوا معه الأهوال من أجل نشر دين الله ويفدونهم بأموالهم وأرواحهم وأولادهم وأهليهم وهو الذى يذكرهم ليل نهار أنه لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعاً ولا ضرراً ولا حياة ولا موتاً ولا نشوراً .

ما الذى ملأ قلوبهم يقيناً وعزماً وإيماناً على نصرته والشهادة في سبيل الله تعالى ؟

أظن الإجابة واضحة وضوح الشمس في كبد السماء .

إن شخصية النبى ﷺ وحياته وسيرته وعظمته وعفته وأمانته وتواضعه وشجاعته وغير ذلك من الصفات التى تجمع الكمال الإنسانى في شخصه ﷺ كانت المصباح الذى أضياء للبشرية كلها وليس للصحابة فقط الطريق إلى الله .. وإلى توحيده وعبادته خوفاً من عذابه وطمعاً في جنته .

فالصلاة والسلام عليك يا رسول الله .

لقد كنت في العلم والحكمة سيد العلماء والحكماء . وكنت في الخلق والأدب مثال الكمال في ضبط النفس ورقة القلب وعفة الضمير واستقامة السيرة . وكنت في الحكم والرئاسة عظيم العظماء لم يعرف التاريخ ولن يعرف مثلك في سياسته وحسن قيادته وتأليفه بين قلوب الرجال وجمع كلمة الأمة على هدف واحد وغاية واحدة دون ضعف أو كلل ، فالصلاة والسلام عليك يا رسول الله . يا من أدبك ربك وجمع فيك الخير كله واختارك من بين عباده وجعلك صفيه وحببيه ، ونبيه وخليته وأكرمك بالرسالة والنبوة وشرح صدرك للهدى ودين الحق

وأبرئك من كل عيب ووصفك في كتابه الكريم بقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خَلْقٍ عَظِيمٍ ﴾  
[ القلم : ٤ ] .

بما لم يصف به نبياً من أنبيائه وجعل محبته مشروطة بمحبتك من عباده فقال  
جل شأنه : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾  
[ آل عمران : ٣١ ] .

وجعل طاعتك من طاعته فقال عز وجل : ﴿ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾  
[ النساء : ٨٠ ] .

فالصلاة والسلام عليك يا رسول الله فما أروع سيرتك وأعظم بركتها إنها  
المدرسة الإلهية لكل قائد وزعيم ، وكل أب وزوج ، وكل داعية إلى الله ، وكل  
مسلم يشهد أن لا إله إلا الله محمداً رسول الله .

أخي القارئ ..

اقرأ بقلبك وتدبر حياة نبيك ﷺ لتقتدى به .

وأسأل الله تعالى لي ولك ولجميع المسلمين أن يحشرنا في زمرة وأن يورثنا  
حوضه ويرزقنا شفاعته ومجاورته في الفردوس الأعلى من الجنة إنه نعم المولى  
ونعم النصير والحمد لله رب العالمين .

وكتبه

سيد مبارك أبو بلال

١٨ شوال ١٤٢٣ هـ / ٢٢ ديسمبر ٢٠٠٢ م

## الفصل الأول :

## حالة العرب قبل ميلاد النبي ﷺ

كان العرب قبل ميلاد النبي ﷺ يعيشون في جهل حياة عابثة فاسدة لا غاية لها ولا هدف من وراءها إلا إرضاء شهوات النفس وإباحة المنكرات والفواحش . وكانوا يعبدون الأصنام والأحجار من دون الله جل وعلا ، وأول من أدخلها بلاد العرب رجل يسمى ( عمرو بن لُحَي ) الذي كان رئيساً لقبيلة خزاعة وهي من قبائل العرب ، وكان ( عمرو بن لُحَي ) معروفاً بحبه للخير والحرص على أمور الدين فأحبه الناس وظنوه من أكابر العلماء وأفاضل الأولياء .

سافر ( عمرو بن لُحَي ) إلى بلاد الشام فوجدهم يعبدون الأصنام فاستحسن ذلك وظنه حقاً لأن الشام محل الرسل والكتب فأتى معه بصنم اسمه ( هبل ) وجعله في جوف الكعبة ودعا أهل مكة إلى الشرك فأجابوه ظناً منهم بأن ذلك الصنم وعبادتهم إياه لا تغير من دين إبراهيم عليه السلام الذي كان يدين به البعض منهم شيئاً . فكان ( عمرو بن لُحَي ) أول من بدل دين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ويشهد بهذا قول النبي ﷺ : « رأيت عمرو بن لُحَي يجر قصيبه<sup>(١)</sup> في النار إنه أول من غير دين إسماعيل فنصب الأوثان ، وبحر البحيرة ، وسيب السائبة ، ووصل الوصيلة ، وحمى الحام . . . » ثم قلده الكثير من أهل مكة وانتشرت الأصنام في ربوع الجزيرة العربية وعبدوها من دون الله عز وجل . وضحك عليهم الشيطان وظنوا أنهم يقربوهم إلى الله فهم شفعاء لهم عنده وهذا ما كذبهم فيه القرآن فقال تعالى : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ

(١) القصب : بوزن قفل ، اسم للأمعاء كلها .

هؤلاء شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنْبِئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿ [ يونس : ١٨ ] . وكان من ضلالهم وكفرهم أن نصبوا هذه الأوثان في بيوتهم ومنهم من يأخذهم معه في سفره يتبرك بهم .

- وروى البخارى في صحيحه عن أبى رجاء قال : « كنا نعبد الحجر فإذا وجدنا حجراً هو خير منه ألقيناه وأخذنا الآخر فإذا لم نجد حجراً جمعنا حثوة من تراب ثم جئنا بالشاة فحلبنا عليه ثم طفنا به »<sup>(١)</sup> .

وكانت هناك في الجاهلية ثلاثة أصنام بصفة خاصة يعظمها العرب وهم :

- مناة : وكانت منصوبة على ساحل البحر ، وتعبدتها قبيلتا الأوس والخزرج ومن دان بدينهم من أهل المدينة ولما جاء الإسلام وانتصر التوحيد على الشرك بعث رسول الله ﷺ أبا سفيان أو على بن أبى طالب رضى الله عنهما فهدهما .

- اللات : وكان في الطائف وقيل : إن أصله رجل صالح فلما مات عكفوا

على قبره .

- العزى : وكانت بين مكة والطائف .

فهؤلاء الثلاثة هم أكبر أصنامهم التى كانوا يعكفون عليها ويلتجئون إليها ويستغيثون بها في الشدائد ويدعونها لحاجاتهم معتقدين أنها تشفع عند الله وتحقق لهم ما يريدون . وكانوا يطوفون بها ويسجدون لها ويذبحون ويتقربون إليها بأنواع القرابين . حتى إنهم كانوا يخصصون لها نصيباً من حرثهم وأنعامهم والطريف أنهم كانوا يخصصون من ذلك جزءاً لله أيضاً . ولهذا قال تعالى : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿ [ الأنعام : ١٣٦ ] .

فضلاً عن كل هذا كانوا يستقسمون بالأزلام ويؤمنون بأخبار الكهنة والعرافين والمنجمين وكانت فيهم الطيرة وهي التشاؤم بالشيء ومجمل القول أنهم كانوا في ضلال وشرك وجاهلية ومعظمهم مطموس البصر والبصيرة .

### العادات السيئة والحالة الاجتماعية قبل الإسلام :

لا تقل الحالة الاجتماعية والفساد والانحلال في المجتمع الجاهلي قبل الإسلام عن فساد العقيدة عندهم وربما أشد !! كان الرجل بطبيعة الحال رئيس الأسرة والأمر الناهي فيها ولكن كان للمرأة دور إن شاءت جمعت القبائل للسلام وإن شاءت أشعلت بينهم الحرب والقتال ، ولكن كانت علاقتها بالرجل علاقة نستطيع أن نعبر عنها بالدعارة والمجون والسفاح والفاحشة ، روى أبو داود عن عائشة رضي الله عنها « أن النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء : فكان منها نكاح الناس اليوم ، يخطب الرجل إلى الرجل وليته فيصدقها ثم ينكحها .

**ونكاح آخر :** كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمئتها أرسلني إلى فلان فاستبضعي منه ، ويعتزلها زوجها ولا يمسه أبداً حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه ، فإذا تبين حملها أصابها زوجها إن أحب ، وإنما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد ، فكان هذا النكاح يسمى نكاح الاستبضاع :

**ونكاح آخر:** يجتمع الرهط دون العشرة فيدخلون على المرأة كلهم يصيها فإذا حملت ووضعت ومرت ليال بعد أن تضع حملها أرسلت إليهم فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها فتقول لهم: قد عرفتم الذي كان من أمركم وقد ولدت وهو ابنك يا فلان، فتسمى من أحببت منهم باسمه فيلحق به ولدها .

**ونكاح رابع :** يجتمع الناس الكثير فيدخلون على المرأة لا تمتنع ممن جاءها ، وهن البغايا كن ينصبن على أبوابهن رايات تكون علماً لمن أرادهن ودخل عليهن ، فإذا حملت ووضعت حملها جمعوا لها ودعوا لهم القافة ، ثم ألحقوا ولدها بالذي

يروونه فالتاطه ودعى ابنه لا يمتنع من ذلك ، فلما بعث الله محمداً ﷺ هدم نكاح أهل الجاهلية كله إلا نكاح الإسلام اليوم»<sup>(١)</sup> .

وكان من عاداتهم السيئة والمحرمة :

- وأد البنات وهى أن يدفن الرجل ابنته بعد ولادتها حية في التراب خوفاً من العار ولهذا وبخ الله فاعله يوم القيامة فقال جل شأنه : ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ \* بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴾ [ التكوير : ٨ - ٩ ] .

- تبرج النساء بخروج المرأة كاشفة عن محاسنها كأنها تعرض نفسها وتُغرى بها غيرها .

- قتل الأولاد مطلقاً ذكوراً أو إناثاً عند الفقر والمجاعة وفي ذلك قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ ﴾ [ الأنعام : ١٥١ ] .

- العصبية القبلية وتقوم على مبدأ « انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً » أى نصره على كل حال وليس كما قال النبي ﷺ : « انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً فليل له يا رسول الله : أنصره إذا كان مظلوماً ، فكيف أنصره إذا كان ظالماً ؟ قال : تحجزه عن الظلم »<sup>(٢)</sup> .

- اتخاذ الحرائر من النساء الأخدان من الرجال وذلك بالاتصال بهم وتبادل الحب معهم في السر فحرم الإسلام هذه العادة بقوله تعالى : ﴿ وَلَا مَتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ ﴾ [ النساء : ٢٥ ] ، وحرم على الرجال ذلك بقوله تعالى : ﴿ وَلَا مَتَّخِذِي أَخْدَانٍ ﴾ [ المائدة : ٥ ] .

هذه بعض العادات السيئة التى انتشرت بين الناس في الجاهلية ولكن العجيب الذى يثير الدهشة والعجب . رغم هذا الفساد والشرك والجاهلية كان العرب لهم

(١) أخرجه أبو داود في كتاب النكاح باب وجوه النكاح التى يتناكح بها أهل الجاهلية .

(٢) أخرجه البخارى .

عادات حسنة من ذلك : الصدق أى صدق الحديث ، وإكرام الضيف وإطعامه ، والوفاء بالعهود وعدم نكثها مهما كلفت من ثمن ، واحترام الجوار وتقرير الحماية لمن طلبها . والصبر والتحمل ، والشجاعة والنجدة وعدم قبول الذل والمهانة ، واحترام الحرم والأشهر الحرم بعدم القتال فيها إلا لضرورة .

ومن عاداتهم الحسنة أيضاً :

- تحريمهم نكاح الأمهات والبنات ، واغتسالهم من الجنابة ، والختان ، وقطع يد السارق اليمنى ، والحج والعمرة . . إلخ . وهذا باختصار شديد حال العرب قبل ميلاد النبي ﷺ ، فساد في العقيدة وكفر بالله ، وفساد وانحلال في المجتمع والروابط الأسرية وكان الناس في حاجة شديدة إلى رسالة وإلى نبي يخرجهم من الظلمات إلى النور . بل إنهم كانوا ينتظرون رسولا يأتي بشر به المسيح عليه السلام من بعده ، وكانت اليهود تعتقد إنه سيكون من بينهم فمنهم جاء كل الأنبياء فهم كما يقولون شعب الله المختار !! نعم . . كل الناس كانت تنتظر النبي المبعوث من الله تعالى ليهديهم إلى الصراط السوى والطريق المستقيم ، ويخرجهم من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد ومن عبادة المخلوق إلى عبادة الخالق - جل جلاله - . نعم . . كل الوقائع تقول إن العالم كان في حاجة إلى رسالة خاتمة وحقائق التاريخ تقول إن صاحب هذه الرسالة هو محمد بن عبد الله ﷺ . لقد اصطفاه الله من بين خلقه واختاره ليكون للعالمين بشيراً ونذيراً وداعياً إليه وسراجاً منيراً . قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً \* وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً ﴾ [ الأحزاب : ٤٥ - ٤٦ ] . وقال النبي ﷺ : « إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل واصطفى من ولد إسماعيل كنانة واصطفى من بنى كنانة قريشاً ، واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفاني من بنى هاشم »<sup>(١)</sup> .

(١) أخرجه مسلم عن وائلة بن الأسقع ، باب فضل نسب النبي ﷺ .

## الفصل الثاني :

## الأسرة النبوية وميلاد النبي ﷺ

تعرف أسرة النبي ﷺ بالأسرة الهاشمية فجده الأكبر هو هاشم بن عبد مناف وكان ذا شرف كبير ، وهو أول من أطعم الثريد للحجاج بمكة ، وكان اسمه عمرو فما سمي هاشمًا إلا لهشمه الخبز .

وهو أول من سن الرحلتين لقريش ، رحلة الشتاء والصيف ، تزوج سلمى بنت عمرو أحد بنى عدى بن النجار فحملت منه بعد المطلب ومات قبل ميلاده .

\* عبد المطلب : ولدته أمه ( سلمى بنت عمرو ) بعد وفاة أبيه وسمته شيبة لشيبة كانت في رأسه<sup>(١)</sup> ، وكان عبد المطلب شريفًا مطاعًا ذا فضل في قومه ، كانت قريش تسميه الفياض لسخائه وكرمه وتكفل برعاية النبي ﷺ فيما بعد كما سوف نرى .

وقد حدث له أمران على جانب عظيم من الأهمية جدير بنا أن نذكرهما لعلاقتهما الوثيقة بمولد النبي ﷺ .

## الأمر الأول : حفرة بنو زهم :

وخلصته أنه أمر في المنام بحفر زمزم ووصف له موضعها ، فقام فحفر فوجد فيها الأشياء التي دفنها الجراهمة حين لجأوا إلى الجلاء ، أي السيوف والدروع والغوالين من الذهب ، فضرب الأسياف بابًا للكعبة ، وضرب في الباب

(١) انظر سيرة ابن هشام ١ / ١٣٧ .

الغزاليين وأقام سقاية زمزم للحجاج .

ولما بدت بئر زمزم نازعت قريش عبد المطلب وقالوا له : أشركنا قال ما أنا بفاعل هذا أمر خصصت به ، فلم يتركوه حتى خرجوا به للمحاكمة إلى كاهنة بنى سعد ، ولم يرجعوا حتى أراهم الله في الطريق ما دلهم على تخصيص عبد المطلب بزمزم ، وحينئذ نذر عبد المطلب لئن آتاه الله عشرة أبناء وبلغوا أن يمنعوه لينحرن أحدهم عند الكعبة .

### الأمر الثاني : وقعة الفيل :

ووقعة الفيل حدثت في العام الذي ولد فيه النبي ﷺ .

قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ \* أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ \* وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ \* تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ \* فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾ [ الفيل : ١ - ٥ ] .

نعم . . . كان ميلاده ﷺ بعدها بخمسين يوماً أو بخمسة وخمسين يوماً على الأكثر .

وخلاصته .. ( أن أبرهة الصباح الحبشى ، النائب العام عن النجاشى على اليمن رأى العرب يحجون إلى الكعبة فأراد أن يصرف حج العرب إليها فبنى كنيسة كبيرة في صنعاء وسمع بذلك رجل من بنى كنانة ، فدخلها ليلاً فلطخ قبلتها بالعدرة ، ولما علم أبرهة بذلك ثار غيظه وسار بجيش عرمرم - عدده ستون ألف جندي - إلى الكعبة ليهدمها ، واختار لنفسه فيلاً من أكبر الفيلة ، وواصل سيره حتى بلغ المغمس ، وهناك عبأ جيشه وهياً فيله ، ونهياً لدخول مكة فلما كان في وادى محسر بين المزدلفة ومنى برك الفيل ، ولم يبق ليقتدم إلى الكعبة وكانوا كلما وجهوه إلى الجنوب أو الشمال أو الشرق يقوم يهرول ، وإذا صرفوه إلى الكعبة

برك ، فبينما هم كذلك إذ أرسل الله عليهم طيراً أبابيل ، ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول ، وكانت الطير أمثال الخطاطيف والبلسان ، مع كل طائر ثلاثة أحجار ، حجر في منقاره ، وحجران في رجله أمثال الحمص ، لا تصيب منهم أحداً إلا صار تتقطع أعضاؤه وهلك ، وليس كلهم أصابت ، وخرجوا هاربين يموج بعضهم في بعض فتساقطوا بكل طريق وهلكوا على كل منهل .

وأما أبرهة فبعث الله عليه داء تساقطت بسببه أنامله ولم يصل إلى صنعاء إلا وهو مثل الفرخ وانصدع صدره عن قلبه ثم هلك <sup>(١)</sup> .  
( وكان لعبد المطلب عشرة بنين ، وهم :

الحارث ، والزيير ، وأبو طالب ، وعبد الله ، وحمزة ، وأبو لهب ، والغيداق ، والمقوم ، وصغار ، والعباس .

وقيل كانوا أحد عشر فزادوا ولداً اسمه قثم . وقيل غير ذلك .

وأما البنات فست وهن : أم الحكيم وبرة وعاتكة وصفية وأروى وأميمة <sup>(٢)</sup> .

عبد الله والد الرسول ﷺ : أمه هي « فاطمة بنت عمرو » وكان عبد الله أحب أولاد عبد المطلب إلى قلبه وهو الذبيح ولتسميته بذلك قصة جدير بنا أن نذكرها لتكتمل الفائدة :

ذكرنا أن عبد المطلب نذر إن رزقه الله عشرة من الولد يمنعونه أى يحمونه ويعينوه ذبح أحدهم ولم يكن له يومئذ إلا الحارث فلما رزقه الله عشرة أبناء ، وعرف أنهم يمنعونه أخبرهم بنذره فأطاعوه ، فكتب أسماءهم في القداح ، وأعطاهم قيم هبل ، فضرب القداح فخرج القدح على عبد الله فأخذه عبد المطلب

(١) انظر سيرة ابن هشام ١ / ٤٣ إلى ٥٦ ، والرحيق المختوم ص ٤٧ .

(٢) انظر تلقيح فهوم أهل الأثر ص ٨ ، ٩ ، والرحيق المختوم ص ٤٨ .

وأخذ الشفرة ، ثم أقبل به إلى الكعبة ليذبحه ، فمنعته قريش ولا سيما أخواله من بني مخزوم وأخوه أبو طالب ، فقال عبد المطلب : فكيف أصنع بنذري فأشاروا عليه أن يأتي عرافة فيستأمرها فأتاها ، فأمرت أن يضرب القداح على عبد الله وعلى عشر من الإبل .

فإن خرجت على عبد الله يزيد عشرًا من الإبل حتى يرضى ربه فإن خرجت على الإبل نحرها ، فرجع وأقرع بين عبد الله وبين عشر من الإبل حتى يرضى ربه ، فإن خرجت على الإبل نحرها ، فوقعت القرعة على عبد الله فلم يزل يزيد من الإبل عشرًا عشرًا ولا تقع القرعة إلا عليه إلى أن بلغت الإبل مائة فوقعت القرعة عليها فنحرت عنه ، ثم تركها عبد المطلب لا يرد عنها إنسانًا ولا سبعًا ، وكانت الدية في قريش وفي العرب عشرًا من الإبل فجرت بعد هذه الواقعة مائة من الإبل ، وأقرها الإسلام .

وروى عن النبي ﷺ أنه قال : « أنا ابن الذبيحين » . . . يعنى إسماعيل ، وأباه عبد الله<sup>(١)</sup> .

أمنة بنت وهب أم النبي ﷺ : كانت أفضل امرأة في قريش نسبًا وشرقًا ، وأبوها سيد بني زهرة نسبًا وشرقًا تزوجها عبد الله وبني بها في مكة .

وقيل : إنه خرج تاجرًا إلى الشام فأقبل في غير قريش فنزل المدينة وهو مريض فتوفى بها ، وله إذ ذاك خمس وعشرون سنة وكانت وفاته قبل أن يولد رسول الله ﷺ وقيل والله أعلم بل توفى بعد مولده بشهرين ، وما ترك عبد الله خلفه لزوجته وابنه إلا خمسة أجمال ، وقطعة غنم ، وجارية حبشية اسمها بركة وكنيتها ( أم أيمن ) وهي حاضنة رسول الله ﷺ .

(١) انظر سيرة ابن هشام ١ / ١٥١ ، والرحيق المختوم ص ٤٩ .

### مولد النبي ﷺ :

في صبيحة يوم الإثنين في شهر ربيع الأول عام الفيل ولا يعرف تاريخ يوم مولده بالتحديد .

والاحتفال بمولده يوم ١٢ ربيع أمر لم يثبت بل ذكر ابن الجوزي في صفة الصفوة أربعة أقوال عن تاريخ ميلاده قال :

أحدها: أنه ولد لليلتين خلتا منه .

والثاني : لثمان خلون منه .

والثالث : لعشر خلون منه .

والرابع : لاثنتي عشر خلت منه<sup>(١)</sup> .

ومن ثم فالثابت الصحيح هو مولده يوم الإثنين من ربيع الأول عام الفيل وتاريخ ميلاده أقوال تحتمل الخطأ والصواب والله أعلم بها .

ولما ولدته أمه أرسلت إلى جده عبد المطلب تبشره بميلاد حفيده فسر بذلك ودعا الله وشكر له واختار له اسم محمد وهو اسم لم يكن معروفاً في العرب وختنه يوم سابعه ، وقيل إنه ولد مختوناً والله أعلم .

ويقول ابن القيم ( في زاد المعاد ) :

وروى في ذلك حديث لا يصح ذكره أبو الفرج بن الجوزي في الموضوعات وليس فيه حديث ثابت ، وليس هذا من خواصه ، فإن كثيراً من الناس يولد مختوناً<sup>(٢)</sup> اهـ .

(١) انظر صفة الصفوة لابن الجوزي ١ / ص ١٨ .

(٢) انظر زاد المعاد في هدى خير العباد لابن القيم ١ / ص ٢٥ ، ٢٦ .

## رضاع النبي ﷺ ومرضعه :

أول من أرضعته وتشرفت بذلك أمه ( آمنة بنت وهب ) ثم ثويبة مولاة أبي لهب عمه التي أرضعت معه عمه حمزة كذلك ، فكان أخًا للنبي ﷺ من الرضاعة ، ثم أرضعته بعد ذلك حليلة السعدية ، رضع مع ابنتها ، جذامة بنت الحارث وهي التي اشتهرت باسم ( الشيماء ) فهي أخت النبي ﷺ من الرضاعة .

وكذلك أرضعت حليلة السعدية ، عمه حمزة بن عبد المطلب ، فأصبح حمزة رضيع رسول الله ﷺ من جهتين ، من جهة ثويبة ومن جهة حليلة السعدية<sup>(١)</sup> .

ولقد رأت حليلة السعدية عندما تولت رضاعة النبي ﷺ آيات تدل على نبوته وها هي تخبرنا بنفسها قالت : أنها خرجت من بلدها مع زوجها وابن لها صغير ترضعه في نسوة من بنى سعد بن بكر ، تلتمس الرضعاء قالت : وذلك في سنة شهباء لم تبق لنا شيئًا . قالت : فخرجت على أتان<sup>(٢)</sup> لى قمران ، معنا شارف لنا والله ما تبض بقطرة ، وما ننام ليلنا أجمع من صبينا الذي معنا ، من بكائه من الجوع ، ما في ثديي ما يغنيه وما في شارفنا ما يغذيه ، ولكن كنا نرجوا الغيث والفرج ، فخرجت على أتاني تلك فلقد أدمت بالركب حتى شق ذلك عليهم ضعفًا وعجفًا . حتى قدمنا مكة نلتمس الرضعاء ، فما منا امرأة إلا وقد عرض عليها رسول الله ﷺ فتأباه ، إذا قيل لها إنه يتيم ، وذلك أنا كنا نرجوا المعروف من أبي الصبى ، فكنا نقول : يتيم ! وما عسى أن تصنع أمه وجدته ، فكنا نكرهه

(١) انظر زاد المعاد في هدى خير العباد لابن القيم ١ / ص ٢٥ ، ٢٦ .

(٢) أتان : أى حمارة .

لذلك فما بقيت امرأة قدمت معي إلا أخذت رضيعاً غيري فلما أجمعنا الانطلاق قلت لصاحبي ( زوجي ) : والله إنى لأكره أن أرجع من بين صواحبى ولم آخذ رضيعاً ، والله لأذهبن إلى ذلك اليتيم فلاأخذنه ، قال : لا عليك أن تفعلى ، عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة ، قالت : فذهبت إليه ، فأخذته ، وما حملنى على أخذه إلا أنى لم أجد غيره ، قالت : فلما أخذته رجعت به إلى رحلى ، فلما وضعتة في حجرى أقبل عليه ثدياى بما شاء من لبن ، فشرب حتى روى وشرب معه أخوه حتى روى ، ثم نام ، وقام زوجى إلى شارفنا تلك فإذا هى حافل<sup>(١)</sup> .

فحلب منها ما شرب وشربت معه حتى انتهينا رياً وشبعاً ، فبتنا بخير ليلة ، فلما أصبحنا قال لى زوجى : تعلمين والله يا حليلة لقد أخذت نسمة مباركة ، قالت : فقلت والله إنى لأرجو ذلك قالت : ثم خرجنا وركبت أنا أتانى وحملته عليها معى ، فوالله لقطعت بالركب ما لا يقدر عليه شئ من حمهم ، حتى إن صواحبى ليقلن لى : يا ابنة أبى ذؤيب ، ويحك ! أربعى<sup>(٢)</sup> علينا أليست هذه أتانك التى كنت خرجت عليها ؟ فأقول لهن : بلى والله إنها لهى هى فيقلن والله إن لها شأنًا .

قالت : ثم قدمنا منازلنا من بلاد بنى سعد وما أعلم أرضاً من أرض الله أجذب منها ، فكانت غنمى تروح على حين قدمنا به معنا شباعاً لبناً<sup>(٣)</sup> فنحلب ونشرب ، وما يحلب إنسان قطرة لبن ولا يجدها في ضرع حتى كان الحاضرون من قومنا يقولون لرعيانهم : ويلكم اسرحوا حيث يسرح راعى بنت أبى ذؤيب ، فتروح أغنامهم جياً ما تبض بقطرة لبن ، وتروح غنمى شباعاً لبناً .

فلم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه وفصلته وكان يشب

(١) حافل : اجتمع فيه اللبن .

(٢) ربعت الإبل : سرحت في المرعى وأكلت وشربت كيف شاءت .

(٣) كثيرة اللبن .

شباباً لا يشبه الغلمان ، فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاماً خفراً (أى غليظاً شديداً) .  
 قالت : فقدمنا به على أمه ونحن أحرص على مكثه فينا ، لما كنا نرى من  
 بركته ، فكلمنا أمه .

وقلت لها : لو تركت ابني عندي حتى يغلظ ، فإنى أخشى عليه وباء مكة ،  
 قالت : فلم نزل بها حتى رده معنا «<sup>(١)</sup>» .

### حادث شق الصدر ووفاة أمه ﷺ :

ظل النبي ﷺ في بني سعد في رعاية حليلة السعدية حتى إذا كانت السنة  
 الرابعة أو الخامسة من مولده وقع له حادث شق الصدر .

- روى مسلم عن أنس رضى الله عنه قال : أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل  
 وهو يلعب مع الغلمان ، فأخذه فصرعه ، فشق عن قلبه ، فاستخرج القلب  
 فاستخرج منه علقه فقال : هذا حظ الشيطان منك ، ثم غسله في طست من ذهب  
 بماء زمزم ثم لأمه ، ثم أعاده إلى مكانه .

وجاء الغلمان يسعون إلى أمه - يعنى ظئره - فقالوا : إن محمداً قد قتل  
 فاستقبلوه وهو متغير اللون «<sup>(٢)</sup>» .

وخشيت عليه حليلة فأعادته إلى أمه ( آمنة ) وظل معها حتى بلغ ستاً ورات  
 أمه أن تزور قبر زوجها عبد الله بن عبد المطلب في المدينة فخرجت وفي طريق  
 عودتها بين مكة والمدينة أصابها مرض فماتت بالأبواء تاركة ابنها محمداً ﷺ في  
 رعاية جده عبد المطلب .

(١) سنيرة ابن هشام ١ / ١٦٢ ، ١٦٤ .

(٢) أخرجه مسلم في باب الإسراء .

### وفاة الجد الرحيم ورعاية عمه له ﷺ :

أحب عبد المطلب حفيده حباً جماً وكان يوقن بأن محمداً ﷺ سوف يكون له شأن عظيم .

فأغدق عليه من حنانه وتكريمه ما لم يفعله مع أحد من أبنائه وعندما بلغ النبي ﷺ ثمانى سنوات مات الجد الرحيم وتولى رعايته وكفالتة عمه أبو طالب حتى بلغ سن الرشد .

بل وبعثه الله تعالى وعمه على قيد الحياة وحاول النبي ﷺ جهده أن يهديه إلى التوحيد وترك عبادة الأصنام فأبى حتى مات للأسف الشديد على غير ملة الإسلام لما سبق في قضاء الله تعالى أنه يموت غير مسلم ولا راد لقضاء الله جل وعلا .

وظل أبو طالب الحصن الحصين للنبي ﷺ الذى يمنع قريش من التعرض له بالأذى ودافع عنه بكل ما استطاع من نفوذ وقوة .

### حديث بحيرا الراهب :

لما خرج أبو طالب إلى الشام وبها راهب يقال له : « بحيرا » في صومعة له وكان علماء النصراني يكونون في تلك الصومعة يتوارثونها عن كتاب يدرسونه ، فلما نزلوا بحيرا وكانوا كثيراً ما يميرون به لا يكلمهم حتى إذا كان ذلك العام ونزلوا منزلاً قريباً من صومعته. قد كانوا ينزلونه قبل ذلك كلما مروا ، فصنع لهم طعاماً ثم دعاهم ، وإنما حمله على دعائهم أنه رأى حين طلوعوا وغمامة تظل رسول الله ﷺ من بين القوم حتى نزلوا تحت شجرة ، ثم نظر إلى تلك الغمامة أظلت تلك الشجرة واخضلت أغصان الشجرة على النبي ﷺ حين استظل تحتها

فلما رأى بحيرا ذلك نزل من صومعته ، وأمر بذلك الطعام فأتى به وأرسل إليهم . فقال : إني قد صنعت لكم طعاماً يا معشر قريش ، وأنا أحب أن تحضروه كلكم ولا تخلفوا منكم صغيراً ولا كبيراً ، حرّاً ولا عبداً ، فإن هذا شيء تكرموني به ، فقال رجل : إن لك لشأتاً يا بحيرا ما كنت تصنع بنا هذا فما شأنك اليوم ؟

قال : فإنني أحببت أن أكرمكم فلکم حق .

فاجتمعوا إليه وتخلف رسول الله ﷺ من بين القوم لحداثة سنه ليس في القوم أصغر منه في رحالهم تحت الشجرة ، فلما نظر بحيرا إلى القوم فلم ير الصفة التي يعرف ويجدها عنده ، وجعل ينظر فلا يرى البغمامة على أحد من القوم ، ورآها متخلفة على رأس رسول الله ﷺ فقال بحيرا : يا معشر قريش لا يتخلفن أحد منكم عن طعامي . قالوا : ما تخلف أحد إلا غلام هو أصغر القوم سناً في رحالهم .

فقال : ادعوه فليحضر طعامي ، فما أقبح أن يتخلف رجل واحد مع أنى أراه من أنفسكم ، فقال القوم : سمو والله أوسطنا نسباً وهو ابن أخي هذا الرجل يعنون أبا طالب وهو من ولد عبد المطلب .

فقال الحارث بن عبد المطلب : والله إن كان بنا للؤم أن يتخلف ابن عبد المطلب من بيننا ثم قام إليه فاحتضنه وأقبل به حتى أجلسه على الطعام والغمامة تسير على رأسه وجعل بحيرا يلحظ لحظة شديداً ، وينظر إلى أشياء في جسده قد كان يجدها عنده من صفته ، فلما تفرقوا قام إليه الراهب فقال : يا غلام أسألك باللات والعزى إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه . فقال رسول الله ﷺ : لا تسألني باللات والعزى فوالله ما أبغضت شيئاً بغضهما قال : فبالله إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه .

قال : سألني عما بدا لك .. فجعل يسأله عن أشياء من حاله حتى نومه ، فجعل رسول الله ﷺ يخبره فيوافق ذلك ما عنده ، ثم جعل ينظر بين عينيه ، ثم كشف عن ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على الصفة التي عنده ، فقبل موضع الخاتم وقالت قريش : إن لمحمد عند هذا الراهب لقدرا .

وجعل أبو طالب لما يرى من الراهب يخاف على ابن أخيه ، فقال الراهب لأبي طالب : ما هذا الغلام منك ؟ قال أبو طالب : ابني . قال : ما هو بابنك وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حيًا .

قال : فابن أخي .. قال فما فعل أبوه ؟ قال هلك وأمه حبلى به قال : فما فعلت أمه : قال : توفيت قريبًا .

قال : صدقت ارجع بابن أخيك إلى بلده واحذر عليه اليهود ، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما أعرف ليبلغنه بغيًا ، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم نجده في كتبنا وما روينا عن آبائنا ، واعلم أني قد أدبت إليك النصيحة .

فلما فرغوا من تجارتهم خرج به سريعًا وكان رجال من يهود قد رأوا رسول الله ﷺ ، وعرفوا صفته فأرادوا أن يغتالوه فذهبوا إلى بحيرا فذاكروه أمره فنهاهم أشد النهى وقال لهم : أتجدون صفته ؟ قالوا : نعم .. قال : فما لكم إليه سبيل ، فصدقوه وتركوه . ورجع أبو طالب فما خرج به سفرًا بعد ذلك خوفًا عليه<sup>(١)</sup> .

وتمر الأيام حتى أصبح عمر النبي ﷺ خمسة وعشرون عامًا وكان شابًا قويًا أمينًا مستقيمًا لا يشرب الخمر ولم يسجد لصنم ولم يحلف باللات والعزى ، ووصفه قومه بالصادق الأمين ، لما يتصف به من الصفات والشمائل الجليلة وكانوا يضعون عنده أغلى ما يملكون أمانة وقلوبهم مطمئنة إليه .

(١) صفة الصفوة ١ / ٢٤ ، وسيرة ابن هشام ١ / ١٨٠ .

## النبي ﷺ يتاجر بمال خديجة :

كانت خديجة رضى الله عنها امرأة تاجرة ذات شرف ومال تستأجر الرجال في مالها ، وتضاربهم إياه ببشيء تجعله لهم ، وكانت قريش قومًا تجارًا فلما بلغها عن رسول الله ﷺ ما بلغها من صدق حديثه ، وعظم أمانته وكرم أخلاقه بعثت إليه فعرضت عليه أن يخرج في مال لها إلى الشام تاجرًا ، وتعطيه أفضل ما كانت تعطى غيره من التجار ، مع غلام لها يقال له ميسرة ، فقبله رسول الله ﷺ منها وخرج في مالها ذلك ، وخرج معه غلامها ميسرة حتى قدما الشام (١) .

وكانت خديجة بنت خويلد رضى الله عنها امرأة في الأربعين من عمرها أرملة تزوجت قبله مرتين وكانت ذات حسب وشرف وجاءها سادات قريش وزعمائها يطلبون يدها ، فكانت ترفض لما تعلمه من طمعهم في المال والشرف فقط .

وعندما عاد النبي ﷺ إلى مكة رأت في مالها من الأمانة والبركة ما لم تر من قبل هذا وأخبرها غلامها ميسرة بما رآه منه ﷺ من شمائل وصفات وأمانة وما عهد عليه كذبًا ولا نقصًا في الميزان بل رآه سمحًا إذا باع . . سمحًا إذا اشترى . . سمحًا إذا قضى ووجدت خديجة رضى الله عنها فيه من الصفات الحميدة ما يجعله خير زوج فحدثت صديقة لها اسمها « نفيسة » بما في نفسها فذهبت إليه وعرضت عليه أن يتزوج خديجة فوافق النبي ﷺ وذلك بعد عودته من الشام بشهرين . نعم طلبت خديجة من النبي ﷺ أن يكون زوجها لها !!

هل لأنه واسع الثراء ؟ أبدأ فهي امرأة تملك من المال الكثير . . هل تزوجته لحسبه وشرفه ؟ ! . .

(١) انظر سيرة ابن هشام ١ / ١٨٧ ، ١٨٨ .

أبدًا فهي ذات الحسب والشرف وإنما اختارته لصدقه وأمانته وكيف لا والله تعالى وصفه بقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [ القلم : ٤ ] .

وتم الزواج المبارك وأصدقها النبي ﷺ عشرين بكرة ، وهي أول امرأة تزوجها رسول الله ﷺ ولم يتزوج عليها غيرها حتى ماتت . وكل أولاده ﷺ منها سوى إبراهيم فأمه هي مارية القبطية رضى الله عنها .

فولدت خديجة له أولاً القاسم - وبه كان يكنى - ثم زينب ورقية ، وأم كلثوم وفاطمة وعبد الله ، وكان عبد الله يلقب بالطيب والظاهر ، ومات بنوه كلهم في صغرهم ، أما البنات فكلهن أدركن الإسلام فأسلمن وهاجرن إلا أنهن أدركتهن الوفاة في حياته ﷺ سوى فاطمة رضى الله عنها فقد تأخرت بعده ستة أشهر ثم لحقت به .

### بناء الكعبة وقضية التحكيم :

عندما بلغ النبي ﷺ عمره (٣٥) سنة أى قبل بعثته بخمس سنوات قامت قريش ببناء الكعبة فلقد كانت كما بناها إسماعيل عليه السلام تسعة أذرع ، ولم يكن لها سقف وكان بها في الداخل كنوز سرقها اللصوص وأصبحت الكعبة تحتاج إلى ترميم وخافت قريش على الكعبة وما لها في قلوبهم من مكانة ومهابة فخافوا أن تنهار واضطرت إلى تجديد بنائها .

واتفقوا على أن لا يدخلوا في بنائها وترميمها إلا طيباً ، فلا يدخلوا فيها مهر بنى ، ولا بيع ربا ، ولا مظلمة أحد من الناس وكانوا يهابون هدمها فابتدأ بها الوليد بن المغيرة المخزومي ، وتبعه الناس لما رأوا أنه لم يصبه شيء ولم يزالوا في الهدم حتى وصلوا إلى قواعد إبراهيم .

ثم أرادوا الأخذ في البناء ، فجزأوا الكعبة وخصصوا لكل قبيلة جزءاً منها ،

فجمعت كل قبيلة حجارة على حدة وأخذوا يبنونها ، وتولى البناء بناء رومي اسمه « باقوم » .

ولما بلغ البنيان موضع الحجر الأسود اختلفوا فيمن يمتاز بشرف وضعه في مكانه واستمر النزاع أربع ليال أو خمسا ، واشتد حتى كاد يتحول إلى حرب ضروس في أرض الحرم ، إلا أن أبا أمية بن المغيرة المخزومي عرض عليهم أن يحكموا فيما شجر بينهم أول داخل عليهم من باب المسجد فارتضوه ، وشاء الله أن يكون هو رسول الله ﷺ فلما رأوه هتفوا : هذا الأمين ، رضينا ، هذا محمد .

فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر طلب رداءً ، فوضع الحجر وسطه ، وطلب من رؤساء القبائل المتنازعين أن يمسكوا جميعاً بأطراف الرداء ، وأمرهم أن يرفعوه حتى إذا أوصلوه إلى موضعه أخذه بيده فوضعه في مكانه ﷺ (١) .

وهناك حادثة هامة حدثت للنبي ﷺ عند بناء الكعبة ، جدير بنا أن نذكرها هنا .

\* روى البخارى عن جابر بن عبد الله قال : ( لما بنيت الكعبة ذهب النبي ﷺ وعباس ينقلان الحجارة ، فقال عباس للنبي ﷺ : اجعل إزارك على رقبتك يقيك الحجارة فخر على الأرض ، وطمحت عيناه إلى السماء ثم أفاق فقال : إزارى ، إزارى فشد عليه إزاره ) (٢) .

وفي رواية فما رؤيت له عورة بعد ذلك .

(١) انظر سيرة ابن هشام ١٢ / ١٩٢ ، وصحيح البخارى باب فضل مكة وبنائها ١ /

٢١٥ ، والرحيق المختوم ص ٥٨ .

(٢) أخرجه البخارى في باب بنان الكعبة .

## الفصل الثامن :

## بدء الوحي والأمر بالتبليغ

تمر الأيام والأحداث والحبيب ﷺ يعتزل ما يفعله قومه من سجود وذبح ودعاء للأصنام والآلهة وكثرة خلوته بغار حراء في أحد جبال مكة يصعد ومعه زاده ويقضى وقته في التأمل والتفكير فيما في الكون من إبداع وهو غير مطمئن لما عليه قومه من شرك وكأنا يقول : دلني عليك يا رب السماء . . دلني عليك يا رب الأرض ، دلني عليك يا من تسير الرياح . . دلني عليك يا من تضع كذا وكذا .

وكان قبل خلوته تأتيه الرؤية مثل فلق الصبح وهو أول ما بدأ من الوحي ، ثم عندما بلغ الأربعين وبينما هو يتأمل في الغار وبالتحديد في شهر رمضان<sup>(١)</sup> لقوله تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾ [ البقرة : ١٨٥ ] .

نزل عليه جبريل عليه السلام بآيات من القرآن . . ولندع أمنا عائشة تخبرنا بكيفية بدء الوحي كما جاء في صحيح البخاري .

قالت : ( أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حُبب إليه الخلاء ، فكان يخلو بغار حراء ، فيتحنث فيه - وهو التعبد - الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك . ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو

(١) لقد اختلف المؤرخون في ذلك فذهبت طائفة إلى أنه نزل عليه في شهر ربيع الأول ، وطائفة في شهر رمضان ، وقيل في شهر رجب وما ذكرناه هو ما نستريح إليه ، والله أعلم .

في غار حراء فجاءه الملك فقال: اقرأ . فقلت: ما أنا بقارئ ، قال : فأخذني فغطني<sup>(١)</sup> ، حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال : اقرأ . فقلت : ما أنا بقارئ . فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال : اقرأ . فقلت : ما أنا بقارئ . فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال : ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ \* خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ \* اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ \* الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ \* عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [ العلق : ١ - ٥ ] .

قال : فرجع بها ترجف بواديه حتى دخل على خديجة فقال : زملوني زملوني ، فزملوه حتى ذهب عنه الروع<sup>(٢)</sup> .

فقال : يا خديجة ما لي فأخبرها الخبر ، فقال : قد خشيت على نفسي فقالت خديجة : كلا والله ما يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم وتحمل الكل<sup>(٣)</sup> ، وتكسب المعدوم وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن العزى ابن عم خديجة ، وكان امرأً تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب وكان شيخاً كبيراً قد عمى - فقالت له خديجة : يا ابن العم اسمع من ابن أخيك فقال له ورقة : يا ابن أخي ، ما ترى ؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى ، فقال له ورقة : هذا الناموس الذي نزله الله على موسى ، يا ليتني فيها جذعاً ، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك فقال رسول الله ﷺ أو مخرجي هم ؟

قال : نعم ، لم يأت رجل قط بمثلما جئت به إلا عودي وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا ، ثم لم ينشب ورقة أن توفي ، وفتر الوحي<sup>(٤)</sup> .

(١) غطني : ضمني إليه وعصرني كما تضم الأم ولدها إلى صدرها رحمة وشفقة عليه .

(٢) الروع : الخوف والفزع .

(٣) الكل : التعب .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب التفسير وتعبير الرؤيا .

### فتور الوحي وعودته :

تمر الأيام ويزداد شوق النبي ﷺ لرؤية جبريل عليه السلام ولما طالت المدة وفتور الوحي حزن النبي ﷺ وأصابه ذلك بالآلم النفسى .  
وجاء في البخارى في كتاب التعبير ما نصه : ( وفتور الوحي فترة حتى حزن النبي ﷺ فيما بلغنا حزناً عدا منه مراراً كى يتردى من رؤوس شواهد الجبال فكلما أوفى بذروة جبل لكى يلقى نفسه منه تبدى له جبريل فقال : يا محمد إنك رسول الله حقاً ، فيسكن لذلك جأشه وتقر نفسه فيرجع ، فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك ، فإذا أوفى بذروة الجبل تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك )<sup>(١)</sup> .

### نزول الوحي مرة ثانية :

جاء في البخارى عن عبد الله الأنصارى رضى الله عنه وهو يحدث عن فترة الوحي فقال في حديثه ( بينا أنا أمشى ، إذا سمعت صوتاً في السماء فرفعت بصرى فإذا الملك الذى جاءنى بحراء جالس على كرسى بين السماء والأرض فرعبت منه فرجعت فقلت : زملونى ، فأنزل الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ \* قُمْ فَأَنْذِرْ \* وَرَبِّكَ فَكْبِرْ \* وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ \* وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴾ [ المدثر : ١ - ٥ ] ، فحمى الوحي وتتابع )<sup>(٢)</sup> .

ولقد كان للوحي مراتب ذكرها ابن القيم في زاد المعاد فقال ما مختصره :

إحداها : الرؤيا الصادقة وكانت مبدأ وحيه ﷺ .

(١) صحيح البخارى كتاب التعبير - باب أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة .

(٢) أخرجه البخارى في كتاب بدء الوحي .

الثانية : ما كان يلقيه الملك في روعه وقلبه من غير أن يراه كما قال ﷺ ( إن روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ولا يحملنكم استبطاء الرزق على أن تطلبوه بمعصية الله فإن ما عند الله لا ينال إلا بطاعته ) .

الثالثة : أنه ﷺ كان يتمثل له الملك رجلاً فيخاطبه حتى يعي عنه ما يقول له ، وفي هذه المرتبة كان يراه الصحابة أحياناً .

الرابعة : أنه كان يأتيه في مثل صلصة الجرس وكان أشده عليه فيلتبس به الملك حتى أن جبينه ليتفصد عرقاً في اليوم الشديد البرد وحتى أن راحلته لتبرك به إلى الأرض إذا كان راكبها ، ولقد جاء الوحي مرة كذلك وفخذه على فخذ زيد بن ثابت فثقلت عليه حتى كادت ترضها .

الخامسة : أنه يرى الملك في صورته التي خلق عليها ، فيوحى إليه ما شاء الله أن يوحىه وهذا وقع له مرتين كما ذكر الله ذلك في سورة النجم .

السادسة : ما أوحاه الله إليه وهو فوق السموات ليلة المعراج من فرض الصلاة وغيرها .

السابعة : كلام الله له منه إليه بلا واسطة كما كلم الله موسى بن عمران وهذه المرتبة هي ثابتة لموسى قطعاً بنص القرآن وثبوتها لنبينا ﷺ هو في حديث الإسراء . . . . . (١)

### الأمر بالتبليغ والسائقون إلى الإسلام :

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ \* قُمْ فَأَنْذِرْ \* وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ \* وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ \*

(١) انظر زاد المعاد ١ / ١٨ ، والرحيق المختوم ص ٦٥ .

وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ \* وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ \* وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿ [ المدثر : ١ - ٧ ] . أمر الله تعالى رسوله ﷺ بالتبليغ والدعوة إلى عبادته وتوحيده ، والقيام بأعباء الرسالة فقام بها الحبيب ﷺ خير قيام وظل يدعو إلى الله أكثر من عشرين سنة وبالتحديد ثلاث وعشرون سنة . منهم ثلاث عشرة في مكة وعشر سنوات في المدينة ما استراح الحبيب لحظة . . ما فتر عن الدعوة أبداً وظل قائماً مليباً أمر الله له بالتبليغ بلا كلل أو ملل ، صابراً محتسباً أجره على الله حتى أدى الأمانة ونصح الأمة وكشف الله به الغمة وارتفعت راية الإسلام خفاقة عالية في جميع أرجاء المعمورة .

وأول من آمن بدعوته زوجته وأم أولاده ( خديجة بنت خويلد ) رضى الله عنها ، التي وقفت معه وواسته وساعدته بنفسها ومالها وآمنت بدعوته وصدقته ولهذا ظل النبي ﷺ يتذكر لها هذا الموقف العظيم حتى شعرت أنها عائشة رضى الله عنها أحب أزواج النبي ﷺ إلى قلبه بالغيرة كلما ذكرها وأثنى عليها لما قدمته في سبيل الدعوة إلى الله تعالى . وها هي تخبرنا بنفسها عن مكانة « خديجة » رضى الله عنها في قلب النبي ﷺ قالت : ( كان رسول الله ﷺ لا يكاد يخرج من البيت حتى يذكر خديجة فيحسن عليها الشاء ، فذكرها يوماً من الأيام فأدركتني الغيرة فقلت : هل كانت إلا عجوزاً قد أخلف الله لك خيراً منها ، قالت : فغضب حتى اهتز مقدم شعره من الغضب ، ثم قال : لا والله ما أخلف الله لى خيراً منها ، لقد آمنت إذ كفر الناس وصدقتنى إذ كذبنى الناس ، وواستنى بمالها إذ حرمنى الناس ورزقنى الله عز وجل أولادها إذ حرمنى أولاد النساء قالت : فقلت بينى وبين نفسى : لا أذكرها بسوء أبداً )<sup>(١)</sup> .

وكان أول من أسلم من الصبيان على بن أبى طالب إذ أسلم وعمره عشر سنين وصلى مع رسول الله ﷺ مختفين بصلاتهما عن أعين قريش .

(١) أخرجه أحمد وإسناده حسن .

وأول من أسلم من الرجال أبو بكر الصديق رضى الله عنه وكان أحب خلق الله إلى قلب النبي ﷺ وكان إسلامه خير وبركة فقد استطاع بما له من محبة في قلوب الناس وخلق حسن أن يقنع من يثق به من قومه للإيمان بما جاء به رسول الله ﷺ وعبادة الواحد الأحد ، فأسلم على يديه عثمان بن عفان ، والزبير بن العوام ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وطلحة بن عبيد الله وهؤلاء الخمسة من المبشرين بالجنة وكذلك أول من أسلم من الموالى زيد بن حارثة رضى الله عنه الذى تبناه النبي ﷺ في الجاهلية وصار ( زيد بن محمد ) وهو حب رسول الله ﷺ .

وكان من أوائل المسلمين بلال بن رباح الحبشى ثم تلاه أبو عبيدة بن الجراح وأبو سلمة بن عبد الأسد ، والأرقم بن أبي الأرقم ، وعثمان بن مظعون ، وأخوه قدامة وعبد الله ، وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب ، وسعيد بن زيد ، وامراته فاطمة بنت الخطاب أخت عمر بن الخطاب ، وخباب بن الأرت وعبد الله ابن مسعود وخلق سواهم وأولئك هم السابقون الأولون ، وهم من جميع بطون قريش وعدهم ابن هشام أكثر من أربعين نفرًا ، وفي ذكر بعضهم في السابقين الأولين نظر )<sup>(١)</sup> . ثم دخل الناس بعد ذلك أفواجًا وكان النبي ﷺ يجتمع بهم في دار الأرقم بن أبي الأرقم ويعلمهم أمور دينهم وتتابع الوحي في وصف نعيم الجنة وعذاب النار لتزيد عزيمة المسلمون للفداء والتضحية والفوز بالشهادة .

### الجهر بالدعوة :

أمر الله تعالى النبي ﷺ بالجهر بالدعوة وإنذار عشيرته ، فقال جل شأنه : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ [ الشعراء : ٢١٤ ] .

(١) انظر سيرة ابن هشام ١ / ٢٤٥ : ٢٦٢ ، والرحيق المختوم ص ٧١ .

وقال تعالى : ﴿ فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين ﴾ [الحجر : ٩٤].

وكان المسلمين قد أصبحت لهم قوة بإسلام حمزة عم النبي ﷺ وعمر بن الخطاب واكمل عددهم نيفاً وأربعين رجلاً وامرأة .

وصعد النبي ﷺ على جبل الصفا ونادى بأعلى صوته : ( يا بنى فهر .. يا بنى عدى .. لبطون قريش حتى اجتمعوا فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو؟ فجاء أبو لهب وقريش فقال : أرايتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي ؟

قالوا : نعم ، ما جربنا عليك إلا صدقا . قال : فإنى نذير لكم بين يدي عذاب شديد .

فقال أبو لهب : تبا لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا ؟ فنزلت : ﴿ تبت يدا أبي لهب ﴾ [المسد : ١] (١) .

انفجر الموقف كله بجهر النبي ﷺ ودعوته إلى التوحيد وترك عبادة الأوثان وتعرض هو ومن آمن بدعوته إلى أشنع أنواع التعذيب وجن جنون قريش عندما وجدوا استجابة الكثير لدعوته الأمر الذي جعلهم يرسلون رجلاً من أشرفهم وسادتهم إلى أبي طالب ، وقالوا له : يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سب آلهتنا ، وعاب ديننا ، وسفه أحلامنا ، وضلل آباءنا فإما تكفه عنا وإما أن تخلى بيننا وبينه فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه ، فنكفيكه فقال لهم أبو طالب قولاً رقيقاً وردهم رداً جميلاً فانصرفوا عنه ومضى رسول الله ﷺ على ما هو عليه ، يُظهر دين الله ويدعو إليه (٢) .

(١) أخرجه البخارى ومسلم .

(٢) انظر سيرة ابن هشام ١ / ٢٦٥ .

### الوليد بن المغيرة رسول قريش :

( اجتمعت قريش على بكرة أبيها لمعرفة ما يجب عمله أمام دعوة النبي ﷺ التي يزيد أتباعه يوماً بعد يوم وخافت من دعوته أن تنتشر عند حضور وفود العرب للحج الذي اقترب موسمها وأرادوا كلمة يقولونها للعرب في شأن محمد حتى يجهضوا دعوته فاجتمعوا إلى الوليد بن المغيرة . فقال : اجمعوا فيه رأياً واحداً ، ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً ، ويرد قولكم بعضه بعضاً .

قالوا : فأنت فقل ، قال : بل أنتم فقولوا أسمع .

قالوا : نقول كاهن . قال : لا والله ما هو بكاهن ، لقد رأينا الكهان فما هو بزممة الكاهن ولا سجعه . قالوا : فنقول : مجنون . قال : ما هو بمجنون لقد رأينا الجنون وعرفناه ، ما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته . قالوا : فنقول شاعر قال : ما هو بشاعر ، لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه ، فما هو بالشعر . قالوا : فنقول : ساحر . قال : ما هو بساحر لقد رأينا السحار وسحرهم فما هو بنفشهم ولا عقدهم .

قالوا : فما نقول ؟

قال : والله إن لقوله لحلاوة وإن أصله لعذق ، وإن فرعه لجناة ، وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عرف أنه باطل ، وإن أقرب القول فيه لأن تقولوا : ساحر جاء بقول هو سحر يفرق بين المرء وأبيه وبين المرء وأخيه ، وبين المرء وزوجه ، وبين المرء وعشيرته ، ففرقوا على ذلك <sup>(١)</sup> .

ومع انتشار الدعوة عرضت قريش عشرات العروض على النبي ﷺ فيأبى إلا نشر دين الله وتسفيه أوثانهم فتركوا هذه المحاولات ولجأوا إلى التعذيب والترهيب

(١) انظر سيرة ابن هشام ١ / ٢٧١ .

والتكليل ليرتد من آمن بدعوته .

- وها هو بلال بن رباح رضى الله عنه يتعرض إلى أشنع أنواع التعذيب من سيده أمية بن خلف فقد كان عبداً مملوكاً له ، وكان يعذبه بإلقائه في الرمضاء على وجهه وظهره ، ويقول له : لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد ، وتعبد اللات والعزى .

وبلال صابر لا يفتر لسانه عن قول : أحدٌ أحدٌ حتى أعتقه أبو بكر بعد أن اشتراه من أمية بن خلف .

ومن المعذبين أيضاً عمار وأمه ووالده ياسر كانوا يعذبونهم بحر الرمضاء ويمر بهم النبي ﷺ ، وهم يعذبون . فقال : « صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة »<sup>(١)</sup> . فمات ياسر من العذاب .

وأما سمية فقد أغلظت القول لأبي جهل لعنه الله ، فطعنها بحربة في قلبها فماتت شهيدة وكانت أول شهيدة في الإسلام .

أما عمار فقد شدوا عليه العذاب حتى أنهم كانوا يغمسون وجهه في الماء حتى يختنق ويقولون له : لا نترك حتى تسب محمداً وتقول في اللات والعزى خيراً ، فلما فعل ما طلبوه منه تركوه ، ويمر عليه النبي ﷺ فوجده يبكي فسأله : « ما وراءك » فقال : شر يا رسول الله كان الأمر كذا وكذا .

فقال : كيف تجد قلبك ؟ قال : أجده مطمئناً بالإيمان فقال : « إن عادوا يا عمار فعد »<sup>(٢)</sup> .

وأنزل الله تعالى قوله : ﴿ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا ﴾ [ النحل : ١٠٦ ] .

وغيرهم من المستضعفين في الأرض الذين لا حول لهم ولا قوة إلا بالله تعرضوا لأشد أنواع العذاب والاضطهاد وهم صامدون على أقدارهم حتى النبي ﷺ لم يسلم من التعرض له بالأذى رغم حماية عمه أبي طالب له .

- من ذلك : أن أبا لهب كان قد زوج ولديه عتبة وعتيبة بنتي رسول الله ﷺ رقية ، وأم كلثوم قبل البعثة ، فلما كانت البعثة أمرهما بتطليقهما بعنف وشدة ، حتى طلقاهما .

- ومن ذلك : عندما مات عبد الله الابن الثاني لرسول الله ﷺ هروول أبو لهب إلى رفقائه يبشرهم بأن محمداً صار أبتراً .

فنزل قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ \* فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ \* إِنَّ شَانِكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾ [ الكوثر : ١ - ٣ ] .

- ومن ذلك : ما فعلته امرأة أبي لهب أم جميل أروى بنت حرب - أخت أبي سفيان - كانت لا تقل عداوة وحقد للنبي ﷺ فكانت تحمل الشوك وتضعه في طريق النبي ﷺ وعلى بابه ليلاً .

وكانت امرأة سليطة تبسط فيه لسانها وتفتري عليه ﷺ ولذلك وصفها الله تعالى بقوله : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ \* مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ \* سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ \* وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ \* فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾ .

[ المسد : ١ - ٥ ] .

فكانت هي وزوجها في النار وبئس المصير .

- ومن ذلك : ما فعله عقبة بن أبي معيط ( لعنه الله ) لقد وضع رحم شاة مذبوحة بين كتفي رسول الله ﷺ وهو يصلي عند البيت ورجال قريش يضحكون ويتمايلون فرحاً وشماتة برسول الله ﷺ والرسول ساجد لا يرفع رأسه حتى جاءته

فاطمة وطرحته عن ظهره الشريف فرفع رأسه ثم دعا وقال : اللهم عليك بقريش ( ثلاث مرات ) .

فشق ذلك عليهم إذ دعا عليهم وقال : وكانوا يرون أن الدعوة في ذلك البلد مستجابة . ثم سمي اللهم عليك بأبي جهل ، وعليك بعتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، والوليد بن عتبة ، وأمية بن خلف ، وعقبة بن أبي معيط وماتوا جميعاً في قليب بدر<sup>(١)</sup> .

وهكذا عشرات المواقع يتعرض فيها النبي ﷺ للأذى من سفهاء قریش فكفاه الله تعالى منهم فقال جل شأنه : ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ \* الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [ الحجر : ٩٥ - ٩٦ ] .

وقال تعالى يخبر عما اتفق عليه المشركين على وصفه ﷺ بأنه ساحر: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ [ ص : ٤ ] .

### اول هجرة في الاسلام :

عندما اشتد اضطهاد قریش للمسلمين رأى النبي ﷺ أنه غير قادر على حمايتهم فأذن لهم بالهجرة إلى الحبشة وهاجر أول فوج من الصحابة إلى الحبشة وكان مكوناً من اثني عشر رجلاً وأربع نسوة ، رئيسهم عثمان بن عفان ، ومعه السيدة رقية بنت رسول الله ﷺ .

وقد قال النبي ﷺ فيهما : « إنهما أول بيت هاجر في سبيل الله بعد إبراهيم ولوط عليهما السلام » .

وعادوا إلى مكة ظناً منهم أن المشركين قد أسلموا ولن يتعرضوا لهم بالأذى

(١) انظر نص الحديث في البخارى - كتاب الوضوء ، باب إذا ألقى على المصلى قدر أو جيفة .

وسبب هذه الشائعة أمر سوف نذكره الآن .

- روى البخارى في صحيحه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « سجد النبي ﷺ بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس »<sup>(١)</sup> .

نعم ما أروع كلام الله تعالى وما أعظمه والنبي ﷺ يتلوه بنفسه في جوف الكعبة بين جمع كبير من قريش يضم ساداتها وكبرائها لقد أخذ النبي ﷺ يتلو سورة النجم وكان الكفار لم يسمعوا كلام الله من قبل بتدبير وفهم لأن جل همهم تكذيبه وعدم الإنصات إليه كما قال تعالى : ﴿ لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾ [ فصلت : ٢٦ ] .

فلما باغتهم بتلاوة هذه السورة وسمعوا كلام الله تعالى وعظمة آياته وبيانه أخذ لبهم وبقي كل واحد منهم مصغياً إليه فلما قرأ النبي ﷺ السجدة : ﴿ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ﴾ [ النجم : ٦٢ ] . ثم سجد ، سجد معه المشركون حتى أن الوليد ابن المغيرة وكان كبير السن أخذ كفاً من البطحاء وسجد عليه .

ولما أحسوا أن ما ارتكبوه يخالف ما يفعلوه ويقولوه !!

سقط في أيديهم وافتروا على رسول الله ﷺ بأنه عطف على أصنامهم ومدحهم وأنه قال عنها : ( تلك الغرانيقة العلى وإن شفاعتهم لترتجى ) .

نعم جاءوا بهذا الإفك المين ليعتذروا عن سجودهم مع النبي ﷺ ولقد انتشر الأمر وسمع به الجميع حتى بلغ بلاد الحبشة وعلم به المهاجرون هناك وظنوا أن المشركين سوف يكفون عن اضطهادهم وتعذيبهم ، ولكن ما أن اقتربوا من مكة حتى تبين لهم أن إسلام أهل مكة باطل وإشاعة وأنهم ما زالوا على الكفر والشرك وظلوا في مكة يتلقون الأذى ويعذبون ويضطهدون .

(١) أخرجه البخارى في كتاب التفسير باب ( فاسجدوا لله واعبدوا ) .

### الهجرة الثانية إلى الحبشة :

بقى النبي ﷺ يدعو إلى ربه سرًا وجهراً صابراً موقناً بنصر الله تعالى له وظل المشركين يتعرضون له بالأذى حتى إنهم وثبوا يوماً عليه وثبة رجل واحد يقولون : أنت الذي تقول كذا وكذا .

فيقول : « أنا الذي أقول كذلك » . فأخذ عقبة بن أبي معيط بردائه وقام أبو بكر وسارع لنجدته ، وهو يبكي ويقول : ويلكم !! أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله .

ثم انصرفوا بعد ما نالوا من الصديق ما نالوا رفساً بأرجلهم وضرباً بأيديهم أخزاهم الله .

### عام الحزن :

اشتد مرض أبي طالب عم النبي ﷺ وعلم به كفار قريش فجاءوا وكان فيهم عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو جهل بن هشام ، وأمية بن خلف ، وأبو سفيان بن حرب وغيرهم فقالوا : يا أبا طالب إنك منا حيث قد علمت ، وقد حضرك ما ترى وتخوفنا عليك وقد علمت الذي بيننا وبين ابن أخيك فادعه فخذ له منا ، وخذ لنا منه ليكف عنا ونكف عنه ، وليدعنا وديننا ، وندعه ودينه .

فبعث إليه أبو طالب ، فجاءه فقال : يا ابن أخي هؤلاء أشرف قومك ، قد اجتمعوا لك ليعطوك ، وليأخذوا منك ثم أخبره بالذي قالوا له وعرضوا عليه ، من عدم تعرض كل فريق للآخر ، فقال لهم رسول الله ﷺ : رأيتم إن أعطيتكم كلمة تكلمتم بها ، ملكتم بها العرب ودانت لكم بها العجم وفي لفظ أنه قال مخاطباً أبي طالب : أريدكم على كلمة واحدة يقولونها تدين لهم بها العرب

وتؤدى إليهم بها العجم الجزية .

فلما قال هذه المقالة ، توقفوا وتحيروا ، ولم يعرفوا كيف يرفضون هذه الكلمة ، ثم قال أبو جهل : ما هي وأبيك ؟ لنعطيكها وعشرة أمثالها قال : تقولون لا إله إلا الله ، وتخلعون ما تعبدون من دونه ، فصفقوا بأيديهم ثم قالوا : أتريد يا محمد أن تجعل الآلهة إلهاً واحداً ؟

إن أمرك لعجب .

وفي هؤلاء نزل قوله تعالى : ﴿ ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ \* بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ \* كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وِلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ \* وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ \* أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ \* وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ امشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ \* مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ﴾ .

[ ص : ١ - ٧ ] .

- وروى البخارى في صحيحه عن المسيب : أن أبا طالب لما حضرته الوفاة دخل عليه النبي ﷺ وعنده أبو جهل ، فقال : أى عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله فقال أبو جهل وعبد الله بن أبى أمية : يا أبا طالب ترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فلم يزالا يكلماه حتى قال آخر شيء كلمهم به : على ملة عبد المطلب فقال النبي ﷺ لأستغفرن لك ما لم أنه عنك ، فنزلت : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلِيَا قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ [ التوبة : ١١٣ ] ونزلت ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾<sup>(١)</sup> [ القصص : ٥٦ ] .

(١) أخرجه البخارى في باب قصة أبى طالب .

- كما أخرج البخارى عن أبى سعيد الخدرى أنه سمع النبى ﷺ وذكر عنده عمه فقال : لعل تنفعه شفاعتى يوم القيامة ، فيجعل في ضحضاح من النار تبلغ كعبيه<sup>(١)</sup> . ومات أبو طالب وبعد وفاته بنحو شهرين أو ثلاثة توفيت أم المؤمنين خديجة رضى الله عنها ولها خمس وستون سنة ورسول الله ﷺ إذ ذاك في الخمسين من عمره وقد مضى من النبوة عشر سنين<sup>(٢)</sup> .

وسمى هذا العام بعام الحزن .

ومن الطبيعى بعد أن مات أبو طالب الذى كان عضداً قوياً لرسول الله ﷺ وزوجته ( خديجة ) رضى الله عنها المؤمنة القوية التى كانت تعينه وتشجعه على الصبر والاحتمال . . . من الطبيعى بعد ذلك أن يشتد أذى المشركين للنبى ﷺ وينالوا منه ما لم يستطيعوه من قبل وهذا ما حدث فقد دخلوا داره ورموا بالقدر بعد أن كانوا يفعلون ذلك خارج بيته وفي طريقه .

واستمرت أذيتهم للنبى ﷺ واستمر النبى ﷺ في دعوته لا يخاف في الله لومة لائم وذهب لأهل الطائف يدعوهم فماذا حدث !!؟

### النبى ﷺ يدعو أهل الطائف :

دعى النبى ﷺ أهل الطائف للإيمان بالله فأذته وأغرت به سفهاءها يرمونه بالأحجار حتى أدموا عقبيه ، وأجأه ذلك إلى حائط بستان لابنى ربيعة عتبة وشيبة على بعد ثلاثة أميال من الطائف وعمد ﷺ إلى ظل شجرة عنب فجلس تحتها فلما اطمأن وسكنت نفسه قال : « اللهم إليك أشكو ضعف قوتى ، وقلة حيلتى ، وهوانى على الناس يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين وأنت ربى

(١) أخرجه البخارى في باب قصة أبى طالب .

(٢) انظر صفة الصفوة ١ / ٢٥٧ .

إلى من تكلنى إلى بعيد يتجهمنى ؟ أم إلى عدو ملكته أمرى ؟ إن لم يكن بك على غضب فلا أبالى ، ولكن عافيتك هى أوسع لى ، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بى غضبك ، أو يحل على سخطك لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك .

ولما فرغ من مناجاته ربه رآه ابنا ربيعة عتبة وشيبة ، فدعوا غلامًا لهما نصرانيًا يقال له ( عداس ) وقالوا له خذ قطعًا من هذا العنب واذهب به إلى هذا الرجل فلما وضعه بين يدى رسول الله ﷺ مد يده إليه قائلاً : ( بسم الله ) ثم أكل .

فقال عداس : إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد فقال رسول الله ﷺ : من أى البلاد أنت ؟ قال : أنا نصرانى من أهل ( نينوى ) فقال رسول الله ﷺ : « من قرية الرجل الصالح يونس بن متى قال له وما يدريك ما يونس بن متى ؟ قال رسول الله ﷺ : ذاك أخى ، كان نبياً وأنا نبى ، فأكب عداس على رأس رسول الله ﷺ ويديه ورجليه يقبلها . ونظر ابنا ربيعة أحدهما للآخر وقال له : أما غلامك فقد أفسده عليك فلما جاءهما عداس قالوا له : ويحك ما هذا ؟ قال : يا سيدى ، ما فى الأرض شيء خير من هذا الرجل لقد أخبرنى بأمر لا يعلمه إلا نبى ، قالوا له : ويحك يا عداس لا يصرفك عن دينك فإن دينك خير من دينه .

ورجع النبى ﷺ إلى مكة عائداً كثيراً محزوناً كسير القلب ، فأنزل الله تعالى عليه جبريل عليه السلام كبلسم شافى لهذا الحزن والألم ، لما تعرض له من أهل الطائف . وها هى عائشة أم المؤمنين تحدثنا أنها قالت للنبى ﷺ هل أتى عليك يوم كان أشد عليك من يوم أحد ؟ قال : لقيت من قومك ما لقيت ، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة ، إذ عرضت نفسى على ابن عبد ياليل بن عبد كلال ، فلم يجبنى إلى ما أردت ، فانطلقت - وأنا مهموم - على وجهى فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب - وهو المسمى بقرن المنازل - فرفعت رأسى فإذا أنا بسحابة قد

أظلمتني فنظرت فإذا فيها جبريل ، فناداني فقال : إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك ، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم ، فناداني ملك الجبال ، فسلم علي ، ثم قال : يا محمد لك ما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين ( أى لفعلت ) فقال ﷺ : بل أرجو أن يخرج الله عز وجل من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً<sup>(١)</sup> . وبينما هو في طريقه إلى مكة عائداً وفي مكان يقال له « وادى نخلة » أقام هناك فترة وخلال إقامته بعث الله إليه نفرًا من الجن يستمعون إليه وهو يصلى فكان منهم ما أخبر الله عنهم في كتابه الكريم فقال جل شأنه : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ \* قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ \* يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِّن عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الأحقاف : ٢٩ - ٣١] .

ولم يعرف النبي باستماع الجن له وإنما الله أعلمه بذلك لتبشيره وذهاب حزنه وهمه .

ثم كانت المعجزة الكبرى التي بدأت بعدها مصاعب الدعوة وتبعاتها أكثر مما كانت من قبل وزادت من قوة النبي ﷺ وشجاعته ورفعت معنوياته هو ومن آمن معه . وذهبت تمامًا بكل الآلام والأحزان التي مرت به ألا وهي معجزة الإسراء والمعراج .



(١) أخرجه البخارى في كتاب بدء الخلق ، ومسلم باب ما لقي النبي من أذى المشركين والمنافقين .

## الفصل الرابع :

## معجزة الإسراء والمعراج

اختلف في تعيين وقت وتاريخ الإسراء بالنبي ﷺ وذكر ابن القيم في زاد المعاد عدة أقوال ، كما اختلف في إسراء النبي ﷺ بجسده أم روحه ؟  
قال ابن القيم :

أسرى برسول الله ﷺ بجسده على الصحيح من المسجد الحرام إلى بيت المقدس راكباً على البراق صحبه جبريل عليهما الصلاة والسلام فنزل هناك وصلى بالأنبياء إماماً وربط البراق بحلقة باب المسجد<sup>(١)</sup> .

وعلى كل حال لن يفيدنا ترجيح رأى على رأى فالذى يهمنا ذكره هنا هو ما ثبت عن الإسراء في القرآن والسنة الصحيحة وفيهما الكفاية لندرك عظمة هذه المعجزة وتأثيرها فيما بعد على حياة المصطفى ﷺ وأتباعه من المسلمين .

قال تعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ .

[ الإسراء : ١ ] .

- وروى البخارى عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبي ﷺ حدثهم عن ليلة أسرى به قال : ( بينما أنا في الحطيم ، وربما قال : في الحجر ، مضطجعاً إذ أتانى آت ، فقال وسمعتة يقول : فشق ما بين هذه إلى هذه . . فقلت للجارود وهو جنبى . ما يعنى به ؟ قال : من نقرة نحره إلى شعرته ، وسمعتة يقول من قصه

(١) انظر زاد المعاد في هدى خير العباد لابن القيم ١ / ٦٩ .

إلى شعرته ، فاستخرج قلبي ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة إيمانًا فغسل قلبي ،  
ثم حشى ثم أعيد ، ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض ، فقال الجارود:  
وهو البراق يا أبا حمزة ؟

قال أنس:- نعم يضع خطوه عند أقصى طرفه فحملت عليه .

فانطلق بي جبريل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح قيل ، من هذا ؟ قال  
جبريل : قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد أرسل إليه . قال :  
نعم ، قيل : مرحبًا به ، فنعم المجيء جاء ، ففتح ، فلما خلصت فإذا فيها آدم  
فقال : هذا أبوك آدم فسلم عليه فسلمت عليه ، فرد السلام ، ثم قال : مرحبًا  
بالابن الصالح والنبى الصالح .

ثم صعد بي إلى السماء الثانية : فاستفتح قيل من هذا ؟ قال : جبريل ، قيل  
ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قيل : مرحبًا  
به فنعم المجيء جاء ، ففتح فلما خلصت إذا يحيى وعيسى ، وهما ابنا خالة ،  
قال : هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما ، فسلمت عليهما ، فردا ثم قالا : مرحبًا  
بالأخ الصالح ، والنبى الصالح .

ثم صعد بي إلى السماء الثالثة : فاستفتح جبريل ، قيل : من هذا ؟ قال :  
جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد أرسل إليه . قال :  
نعم ، قيل : مرحبًا به فنعم المجيء جاء ، ففتح فلما خلصت إذا يوسف . قال :  
هذا يوسف فسلم عليه ، فسلمت عليه فرد ثم قال : مرحبًا بالأخ الصالح والنبى  
الصالح .

ثم صعد بي حتى أتى الرابعة : فاستفتح . قيل : من هذا ؟ قال : جبريل ،  
قيل : ومن معك ، قال : محمد . قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم . قيل :  
مرحبًا به ، فنعم المجيء جاء . فلما خلصت إذا إدريس . قال : هذا إدريس

فسلم عليه فسلمت فرد ثم قال : مرحبًا بالأخ الصالح ، والنبي الصالح .  
 ثم صعد بي حتى أتى السماء الخامسة : فاستفتح . قيل : من هذا ؟ قال :  
 جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال :  
 نعم ، قيل : مرحبًا به ، فنعم المجيء جاء ، فلما خلصت إذا هارون ، قال : هذا  
 هارون فسلم عليه ، فسلمت عليه ، فرد ثم قال : مرحبًا بالأخ الصالح والنبي  
 الصالح .

ثم صعد بي حتى أتى السماء السادسة : فاستفتح فقيل : من هذا ؟ قال :  
 جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال :  
 نعم ، قيل : مرحبًا به ، فنعم المجيء جاء ، فلما خلصت إذا موسى ، قال : هذا  
 موسى فسلم عليه ، فسلمت عليه فرد ثم قال : مرحبًا بالأخ الصالح والنبي  
 الصالح ، فلما تجاوزت بكى فقيل له : ما يبكيك ؟ قال : أبكى لأن غلامًا بعث  
 بعدى يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتي .

ثم صعد بي إلى السماء السابعة : فاستفتح جبريل ، قيل : من هذا قال :  
 جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : نعم ،  
 قيل : مرحبًا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت إذا إبراهيم . قال : هذا أبوك  
 إبراهيم فسلم عليه فسلمت عليه ، فرد السلام ثم قال : مرحبًا بالابن الصالح  
 والنبي الصالح .

ثم رفعت إلى سدرة المنتهى : وإذا أربعة أنهار نهران ظاهران ونهران باطنان ،  
 فقلت : ما هذا يا جبريل ؟

قال : أما الباطنان : فنهران في الجنة ، وأما الظاهران : فالنيل والفرات ثم  
 رفع لى البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم أتيت بإناء من خمر  
 وإناء من لبن وإناء من عسل ، فأخذت اللبن .

قال : هي الفطرة التي أنت عليها وأمتك ، ثم فرض على الصلوات خمسون صلاة كل يوم ، فرجعت فمررت على موسى ، فقال : بم أمرت ؟ قال : أمرت بخمسين صلاة كل يوم قال : إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم ، وإني والله قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة ، فارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك ، فرجعت فوضع عنى عشراً ، فرجعت إلى موسى فقال فقال مثله ، فرجعت فوضع عنى عشراً ، فرجعت إلى موسى فقال مثله ، فرجعت فوضع لى عشراً ، فرجعت إلى موسى فقال مثله ، فرجعت فأمرت بعشر صلوات كل يوم ، فقال مثله فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم ، فرجعت إلى موسى ، فقال : بم أمرت ؟ فقلت : بخمس صلوات كل يوم ، قال : إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم وإني قد جربت الناس قبلك ، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك . قال : سألت ربي حتى استحييت ، ولكن أرضى وأسلم . قال : فلما جاوزت ناداني مناد : أمضيت فريضتي ، وخففت عن عبادي (١) .

وهناك روايات أخرى عن هذه المعجزة وألفاظها متقاربة ، كما أن هناك روايات ضعيفة أو موضوعة لا يجب أن يأخذ بها المسلم ، وفي الصحيحة ما يكفي .

وما يجب أن يقال بمناسبة ذكر الإسراء والمعراج أن النبي ﷺ رأى مرتين جبريل عليه السلام على صورته التي خلقها الله عليه كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ رَأَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾ \* عند سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى \* عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى \* إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى \* مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴿ [ النجم : ١٣ - ١٧ ] .

وليس الله تعالى كما يقول البعض في تفسير هذه الآية وقد ثبت في الصحيح

(١) انظر زاد المعاد لابن القيم ٢ / ٤٧ ، ٤٨ .

أنه جبريل عليه السلام ، فرؤية الله تعالى ، لا تكون إلا في الآخرة وليس في الدنيا . وثبت في الصحيح أيضاً عن أبي ذر أنه سأله هل رأيت ربك ؟ فقال نور أنى أراه . . .

قد يقول قائل ولكن ثبت عن ابن عباس أنه ﷺ قد رأى ربه !!

\* قال ابن القيم في زاد المعاد : ( قال شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه وليس قول ابن عباس أنه رآه مناقضاً لهذا ولا قوله رآه بفؤاده وقد صح عنه أنه قال : « رأيت ربي تبارك وتعالى » ولكن لم يكن هذا في الإسراء ولكن كان في المدينة لما احتبس عنهم في صلاة الصبح ثم أخبرهم عن رؤية ربه تبارك وتعالى تلك الليلة في منامه ، وعلى هذا بنى الإمام أحمد رحمه الله تعالى وقال : نعم رآه حقاً فإن رؤيا الأنبياء حق ولا بد ولكن لم يقل أحمد رحمه الله تعالى إنه رآه بعيني رأسه يقظة ، ومن حكى عنه ذلك فقد وهم عليه ولكن قال مرة رآه ومرة قال رآه بفؤاده فحكيت عنه روايتان وحكيت عنه الثالثة من تصرف بعض أصحابه أنه رآه بعيني رأسه <sup>(١)</sup> اهـ .

ثم عرج بالنبي ﷺ ورأى من آيات ربه الكبرى ما رأى ، وكان قد رأى في ذهابه وإيابه غيراً لأهل مكة وقد دلهم على بعير لهم وشرب ماءهم من إناء مغطى وهم نائمون ثم ترك الإناء مغطى ، وصار ذلك دليلاً على صدق معجزته . . .

وفي الصباح قرر أن يخبر قومه بإسرائه إلى الأقصى وصلاته هناك بالأنبياء عليهم السلام أجمعين .

ومر به أبو جهل وهو جالس في المسجد الحرام فقال له مستهزئاً :

هل استفدت الليلة شيئاً ؟ قال : نعم : أسرى بي الليلة إلى بيت المقدس ،

قال أبو جهل : ثم أصبحت بين ظهرانينا ؟!

قال النبي ﷺ : نعم فقال أبو جهل : أخبر قومك بذلك ؟

فقال النبي ﷺ : نعم . فقال أبو جهل : يا معشر بني كعب بن لؤى ، هلموا فأقبلوا ، فحدثهم النبي ﷺ بمعجزة الإسراء والمعراج .  
فصدقه من صدقه وهداه الله إلى الإيمان به ، وكذبه من اتبع هواه وضل عن سواء السبيل .

وأسرع أبو جهل وغيره من المشركين على الفور إلى أبي بكر لما يعلمونه من حبه وصحبته للرسول ﷺ فهو رفيقه قبل البعثة وأول من آمن بدعوته من الرجال بعد بعثته ﷺ ، وأخبره أبو جهل بحديث الإسراء .

فقال : ( إن كان قال فقد صدق . فيقول أبو جهل : تصدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وعاد قبل أن يصبح ؟ قال أبو بكر : أنى لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك ، من خبر السماء في غدوة أو روحة . .

ثم ذهب إلى النبي ﷺ يستمع إليه وهو يحدث الناس ويصف المسجد الأقصى وأبو بكر يقول : صدقت أشهد أنك لرسول الله فسماه النبي ﷺ يومئذ الصديق<sup>(١)</sup> .

ثم أخبرهم النبي ﷺ بما رآه في ذهابه وإيابه عن البعير التي ضلت وأرشد أصحابها إليها وأخبرهم عن وقت قدومها وأخبرهم عن البعير الذي يقدمها وكان الأمر كما قال ومع ذلك لم يزدتهم هذا إلا نفوراً وأبى الظالمون إلا كفوراً .  
وقالوا : إن هذا إلا سحر مبين .



(١) انظر نص الحديث في البخارى .

## الفصل الخامس :

## بيعة العقبة وطلائع الهجرة

استمر النبي ﷺ على دعوته ، واستمرت قريش على جورها وطغيانها واضطهادها له وللمسلمين .

وفي موسم الحج أخذ النبي ﷺ يعرض نفسه على القبائل ويدعوهم إلى الله تعالى ولما أراد الله جل شأنه إعزاز نبيه وإظهار دينه أسلم بعضهم وبايعوه عند العقبة وكانوا من الخزرج ويقيمون في المدينة وواعدوا الرسول ﷺ بإبلاغ رسالته ونصر دينه وقاموا بمهمتهم خير قيام ، ولم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر رسول الله ﷺ حتى كان العام المقبل أتى الموسم اثنا عشر رجلاً من الأنصار فلقوا رسول الله ﷺ بالعقبة وهي العقبة الأولى فبايعوه وكان منهم عبادة بن الصامت وها هو يخبرنا بنفسه عن هذه البيعة .

قال رضى الله عنه : ( أن رسول الله ﷺ قال : « تعالوا بايعونى على أن لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ، ولا تعصونى في معروف فمن وفى منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به في الدنيا فهو له كفارة ومن أصاب شيئاً فستره الله ، فأمره إلى الله إن شاء عاقبه وإن شاء عفا عنه ، قال : فبايعته وفي نسخة فبايعناه على ذلك )<sup>(١)</sup> .

وبعث النبي ﷺ معهم أول سفير في الإسلام (مصعب بن عمير) رضى الله عنه ليعلمهم شرائع الإسلام ويفقههم في الدين وليقوم بنشر الإسلام في المدينة .

(١) أخرجه البخارى في باب حلاوة الإيمان وباب وفود الأنصار .

ولقد نجح في ذلك نجاحاً عظيماً وأسلم على يديه الكثير ثم عاد إلى مكة قبل بيعة العقبة الثانية .

### بيعة العقبة الثانية :

بعد عدة مواسم للحج وبالتحديد في السنة الثالثة عشرة من النبوة حضر لأداء مناسك الحج سبعون رجلاً وامرأتان من المسلمين من أهل المدينة واجتمعوا بالنبى ﷺ بعيداً عن عيون المشركين وجاء معه عمه العباس وتمت البيعة وها هي بنودها كما في حديث رواه الإمام أحمد بإسناد حسن عن جابر رضى الله عنه قال : قلنا يا رسول الله على ما نبايعك ؟ قال : « على السمع والطاعة في النشاط والكسل ، وعلى النفقة في العسر واليسر ، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وعلى أن تقوموا في الله لا تأخذكم في الله لومة لائم ، وعلى أن تنصروني إذا قدمت إليكم ، وتمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبنائكم ولكم الجنة »<sup>(١)</sup> .

ثم عادوا إلى المدينة يترقبون هجرة الحبيب المصطفى ﷺ الذي أمر أصحابه بالهجرة إليها إن استطاعوا إلى ذلك سبيلاً .

وكانت هجرتهم ذات تضحية عظيمة فليس مجرد النجاة بأنفسهم فقط بل ترك الأموال والديار والأهل والعشيرة ، هذا فضلاً عن تعرضهم للموت قبل وصولهم للمدينة ؛ لأن قريشاً لن تتركهم بأى حال من الأحوال فهي عاجزة عن ردهم عن دينهم في أرضها فماذا تستطيع بعد هجرتهم في مكان أهلها على استعداد لنصرهم ومحاربتهم . كما أن قريشاً كانت تعلم ما للمدينة من موقع استراتيجي تمر عليها تجارتهم ووجود المسلمين فيها يجعل تجارتهم في خطر . ولكن مع كل هذا كان لابد من الهجرة وبدأت طلائع الهجرة .

(١) أخرجه أحمد بإسناد حسن وصححه الحاكم وابن حبان .

### طلّاع الهجرة إلى المدينة :

كان أول المهاجرين أبو سلمة وزوجته أم سلمة ( أم المؤمنين بعد موت زوجها )  
رضى الله عنهما ومعهما ابنهما .

فلما أجمع أبو سلمة على الخروج قال له أصهاره : هذه نفسك غلبتنا عليها ،  
أرأيت صاحبتنا هذه ؟ علام نتركك تسير بها في البلاد ؟! ونزعوا خطام البعير من  
يده وأخذوا الراحلة وعليها امرأته وولده وغضب عند ذلك رجال من رهط أبي  
سلمة فقالوا : والله لا نترك ولدنا عندها إذ نزعتموها من صاحبتنا ، فتجادبوا  
الطفل حتى خلعت يده وانطلق به بنو عبد الأسد ، وحبس بنو المغيرة أم سلمة  
عندهم .

ثم هاجر بعد ذلك صهيب وضحي بماله كله حتى يخلي سبيله لقريش فتركوه  
بعد أن دلهم على مكانه وفيه قال النبي ﷺ : « ربح البيع صهيب .. ربح البيع  
صهيب » ونزل فيه قرآن يتلى إلى اليوم وهو قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي  
نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [ البقرة : ٢٠٧ ] .

وتتابعت الهجرة حتى استشعرت قريش بالخطر واجتمعوا في دار الندوة  
للتشاور وإبداء الرأي وكان اجتماع غير عادي ضم جميع نواب القبائل القرشيين  
فضلا عن الشيطان نفسه !!

نعم لقد وقف اللعين في سورة شيخ من نجد أمام دار الندوة وأقنعهم بدخوله  
معهم وحرصهم ونصحهم حتى اتفقوا على قتل النبي ﷺ قبل أن يهاجر ويجمع  
حوله أصحابه وأتباعه في المدينة ، فيصبح لهم قوة تزلزل كيان قريش وتهدد  
تجارتها .

وكان الرأى الذى وافقوا عليه وأيده الشيطان هو رأى أبى جهل فقد قال :  
أرى أن نأخذ من كل قبيلة شاباً جليداً نسيباً وسيطاً فينا ثم نعطى كل فتى منهم  
سيفاً صارماً ، ثم يعمدوا إليه ، فيضربوه بها ضربة رجل واحد ، فيقتلوه فنستريح  
منه ، فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه على القبائل جميعاً .

فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً فيرضون منا بالعقل ( أى  
الدية ) فنعقله لهم عندئذ قال إبليس في صورة الشيخ النجدى : هذا هو الرأى  
الذى لا أرى غيره (١) .

وبدأوا في تنفيذ خطتهم ، وأوحى الله إلى رسوله ﷺ بذلك ، فأمر ابن  
عمه علياً بأن ينام في فراشه ويتغطى ببرده ﷺ ، وأعلمه أنه لن يناله ما يكره إن  
شاء الله .

ثم أخذ ﷺ حفنة من تراب وخرج وكانوا يتربصون به لقتله حسب الخطة  
ولكنه ﷺ خرج وهو يقرأ قوله تعالى :

﴿ يَسَّ وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا  
وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [ يس : ١ - ٩ ] .

فلم يبق منهم رجل إلا وضع على رأسه تراباً ثم ذهب إلى بيت أبى بكر بعد  
أن أذن الله له بالهجرة .



## الفصل السادس:

## الهجرة إلى المدينة

إن ليلة الهجرة ليلة عظيمة مشهودة فعندما خرج النبي ﷺ من بيته وأنجاه الله من المكيدة ومكر قريش التي أرادت قتله حسب اتفاقهم في دار الندوة فخرج وأعمى الله أبصارهم كما ذكرنا آنفًا وأنجاه من كيدهم قال تعالى : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ [ الأنفال : ٣٠ ] .

وذهب النبي ﷺ على الفور إلى بيت صديقه أبي بكر ولترك عائشة رضى الله عنها تقص علينا ما حدث ..

قالت : ( كان النبي ﷺ لا يخطيء أن يأتى بيت أبى بكر أحد طرفى النهار إما بكرة وإما عشية ، حتى إذا كان اليوم الذى أذن فيه لرسول الله ﷺ بالهجرة فإنه أتانا بالهاجرة ، وساعة كان لا يأتينا فيها .

فلما رآه أبو بكر قال : ما جاء برسول الله ﷺ في هذا الوقت إلا أمر حدث فلما دخل رسول الله ﷺ تأخر له أبو بكر عن سريره فجلس ﷺ وليس عند أبى بكر إلا أنا وأختى أسماء فقال رسول الله ﷺ : أخرج من عندك « فقال يا رسول الله إنما هما بنتاى ، وما ذاك فذاك أبى وأمى ؟ فقال : « إن الله قد أذن لى في الخروج والهجرة » فقال أبو بكر : الصحبة يا رسول الله ؟ قال : « الصحبة » قالت عائشة : والله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحداً يبكى من الفرح حتى رأيت أبا بكر يبكى يومئذ ثم قال أبو بكر : يا نبى الله إن هاتين راحلتان ، قد كنت أعددتهم لهذا ، فاستأجرا عبد الله بن أريقط من بنى الدليل وكان مشركاً

ليدلها على الطريق .

فدفعوا إليه الراحلتين يرعاهما لميعاد خروجهما من مكة إلى المدينة ، ولما أجمع رسول الله ﷺ على الخروج عهد إلى علي بن أبي طالب أن يتخلف بعده بمكة ليؤدى عن رسول الله ﷺ الودائع التى كانت عنده للناس ، إذ كان الناس يضعون عنده ودائعهم مما يخافون عليه ، وذلك لما رأوا من أمانته وصدقه وأتى أبا بكر فخرج معه من خوفه له في ظهر بيته فعمدا إلى غار ثور ( جبل من جبال مكة ) وأمر أبو بكر ابنه عبد الله أن يتسمع لهما ما يقول الناس فيهما نهاره ثم يأتيهما مساء بما كان في ذلك اليوم من الخبر ، كما أمر أبو بكر عامر بن فهيرة مولاه أن يرعى غنمه نهاراً ثم يريحها عليهما مساءً ليسقيهما من لبنها ، وإذا جاءهما عبد الله أو أخته أسماء بطعام اتبع عامر أثرهما بالغنم فعفى أثرهما (١) .

وعندما علمت قريش بخروج النبي ﷺ مع أبي بكر وهجرتهم إلى المدينة جن جنونهم وجعلوا مكافأة ضخمة ( ١٠٠ ناقة لمن يجدهما ، أحياءاً ، أو أمواتاً ) .

واقترب الباحثون عنهم من قريش قريباً جداً من الغار حتى خاف أبو بكر على النبي ﷺ فقال : « يا نبي الله ، لو أن بعضهم طأطأ بصره رأنا قال : اسكت يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما (٢) . وفي ذلك نزل قوله تعالى : ﴿ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ [ التوبة : ٤٠ ] .

وبعد ثلاثة أيام قل البحث عنهما وأصاب قريش اليأس من العثور عليهما ، وجاءهما من استأجره أبو بكر بالراحلتين وكانت أسماء قد جاءت بطعام في سفرة

(١) انظر سيرة ابن هشام ١ / ٤٨٦ .

(٢) أخرجه البخارى .

ونسيت أن تجعل له عصاماً ، وأرادت أن تعلق السفارة بالعرير فلم تستطع ذلك فشقت نطاقها نصفين فعلقت السفارة بنصفه وانتطقت بالنصف الآخر لهذا لُقبَت بذات النطاقين ثم ارتحل رسول الله ﷺ وأبو بكر وارتحل معهم عامر بن فهيرة وأخذ بهم الدليل ( عبد الله بن أريقط ) طريقاً لم يسلكه أحد إلا نادراً .

وحدثت بعض المواقف في طريقهما إلى المدينة وجدير بالذكر هنا :

\* ما كان من أبي بكر الذي كان معروفاً إذا لقي الرجل يسأله : من هذا الرجل الذي بين يديك ؟ فيقول هذا الرجل يهديني الطريق ، فيظن السائل أنه يعني به الطريق وكان مقصده يهديه سبيل الخير<sup>(١)</sup> .

\* أيضاً مرورهما بخيمة أم معبد ، فسألوها طعاماً أو شراباً فلم يصيبوا عندها شيئاً وكانت بكسر خيمتها شاة هزيلة خلفتها الغنم لهزلها فقال النبي ﷺ هل بها من لبن ؟ فقالت : هي أجهد من ذلك . فقال : هل تأذنين لي أن أحلبها؟ فقالت : بأبي أنت وأمي إن رأيت بها حليياً فاحلبها ، فدعا بها رسول الله ﷺ فجاءت فمسح بيده ضرعها وسمى الله تعالى ودعا لها في شأنها فتفاجت ( أي فرجت بين رجلها ) ودرت واجترت ودعا بإناء يروى الرهط فحلب فيه حتى علت الرغوة فسقاها فشربت حتى رويت وسقى أصحابه حتى رويوا ثم شرب وحلب فيه ثانياً حتى ملأ الإناء ثم غادره عندها فارتحلوا .

وكان أن أسلمت بعد ذلك وبايعته ﷺ والله أعلم .

### \* النبي والصديق في قباء :

وصل النبي ﷺ والصديق قباء ومكثا فيها أربعة أيام وأسس مسجد قباء وصلى فيه وهو أول مسجد أسس على التقوى بعد النبوة فلما كان اليوم الخامس

(١) انظر البخارى .

يوم الجمعة ركب بأمر الله له وأبو بكر ردفه وأرسل إلى بني النجار أخواله فجاءوا متقلدين سيوفهم فسار نحو المدينة فأدركته الجمعة في بني سالم بن عوف فجمع بهم في المسجد الذي في بطن الوادي وكانوا مائة رجل (١) ، وهي أول جمعة صليت في الإسلام .

وبعد الجمعة سار النبي ﷺ إلى المدينة التي زحف أهلها من الأنصار إلى استقباله وكان يوماً مشهوداً .

وكان لا يمر بدار من دور الأنصار إلا أخذوا خطام راحلته كل يبغى شرف استضافته في بيته فكان ﷺ يقول لهم : خلوا سبيلها فإنها مأمورة ، فبركت الناقة في موضع المسجد النبوي اليوم ولم ينزل عنها حتى نهضت وسارت قليلاً ثم التفتت ورجعت فبركت في موضعها الأول فنزل عنها وذلك في بني النجار أخواله ﷺ . وجعل الناس يكلمون النبي ﷺ في النزول عليهم وفي رواية للبخاري عن أنس رضي الله عنه قال : قال نبي الله ﷺ أي بيوت أهلنا أقرب .

فقال أبو أيوب الأنصاري : أنا يا رسول الله ، هذه داري ، وهذا بابي قال فانطلق فهبي لنا مقبلاً ، قال : قوما على بركة الله (٢) .

وكان بيت أبي أيوب في أعلى داره والنبي ﷺ في أسفله حسب طلبه ﷺ وظل عنده حتى ابنتي مسجده ومساكنه .

قال ابن القيم في زاد المعاد :

( وبعد أيام وصلت إليه زوجته سودة - وقد تزوجها في مكة بعد وفاة خديجة - وبتاه فاطمة وأم كلثوم ، وأسامة بن زيد وأم أيمن ، وخرج معهم عبد الله بن أبي بكر بعيال أبي بكر ومنهم عائشة وبقيت زينب ( بنت رسول الله ﷺ )

(١) أخرجه البخاري ، وانظر سيرة ابن هشام ١ / ٤٩٤ ، والرحيق المختوم ص ١٦٣ .

(٢) أخرجه البخاري .

عند أبي العاص لم يمكنها من الخروج حتى هاجرت بعد بدر<sup>(١)</sup> .

وحدث أن مرض أبو بكر فكان إذا أخذته الحمى يقول :

كل امرئ مصبح في رحله والموت أدنى من شراك نعله

وكان بلال إذا أخذته الحمى يقول :

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بواد وحولى إذخر وجليل

وهل أردن يوماً مياه مجننة وهل يبدون لى شامة وطفيل

اللهم العن شيبه بن ربيعة وأميه بن خلف كما أخرجونا من مكة فلما رأى

رسول الله ﷺ ما لقوا قال : اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد ، اللهم

صحها وبارك لنا في صاعها ومدها ، وانقل حماها إلى الجحفة قالت عائشة :

فكان المولود يولد فما يبلغ الحلم حتى تصرعه الحمى<sup>(٢)</sup> .

وإلى هنا ينتهى جزء كبير من حياته ﷺ وبدأ الجزء الأصعب والأخطر من

أجل بناء النفوس والدفاع عن كلمة التوحيد ونشرها وتحطيم الأصنام وتحرير بيت

الله من رجسها فلا يعبد فيه إلا الله وحده ولله الحمد والمنة .



(١) انظر زاد المعاد لابن القيم ٥٥ / ٢ .

(٢) أخرجه مسلم .

## الفصل السابع :

## جهود النبي ﷺ في المدينة

بعد هجرته ﷺ لم يسترح وإنما شرع في بناء المسجد النبوي واشتراه من غلامين يتيمن كانا يملكانه وساهم في بنائه بنفسه فكان ينقل اللبن والحجارة ويقول :

اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة

كما قام ﷺ بالمواخاة بين المهاجرين والأنصار ، آخى بينهم على المواساة ويتوارثون بعد الموت دون ذوى الأرحام إلى حين وقعة بدر ، فلما أنزل الله عز وجل : ﴿ وَأَوْلُوا الْأَرْحَامَ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ ﴾ [ الأنفال : ٧٥ ] . رد التوارث دون عقد الأخوة . وشرع في الاتصال باليهود في المدينة ودعوتهم إلى الإسلام وكانت في المدينة من اليهود ثلاث قبائل مشهورة وهم :

- ١ - بنو قينقاع ، كانوا حلفاء الخزرج وكانت ديارهم داخل المدينة .
- ٢ - بنو النضير .
- ٣ - بنو قريظة وهاتان القبيلتان كانتا حلفاء الأوس وكانت ديارهم بضواحي المدينة .

وهذه القبائل اليهودية هي التي كانت تثير الحروب بين الأوس والخزرج كعهدهم دائماً في كل زمان ومكان فهم أهل هذا الفن ، فن إشاعة الحقد والبغض والتمرد على شرع الله فهذه طبيعتهم ألم يقل جل شأنه : ﴿ كَلِمًا أَوْ قَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَاها اللَّهُ وَيَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [ المائدة : ٦٤ ] .

وعاهد النبي ﷺ اليهود وكعهدهم دائماً لم يلتزموا بما عاهدوا النبي عليه فطردهم من المدينة أجمعين فيما بعد ، ووضع النبي ﷺ أعظم ميثاق عرفه الناس في التاريخ فألف بين سكان المدينة من الأنصار والمهاجرين وجيرانهم من طوائف اليهود وهذه ديباجة الكتاب المذكور وبعض ما حواه من مواد الميثاق الذي اشتمل عليه .

### بسم الله الرحمن الرحيم

- ( هذا كتاب من محمد النبي الأمي بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب )  
 المدينة ) ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم :
- ١ - أنهم أمة واحدة من دون الناس .
  - ٢ - إن المؤمنين لا يتركون مفرحاً ( أى المثقل بالدين ) بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء وعقل .
  - ٣ - إن المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ابتغى دسيعة ظلم أو إثم أو عدوان ، أو فساد بين المؤمنين وإن أيديهم عليه جميعاً ولو كان ولد أحدهم .
  - ٤ - لا يقتل مؤمن مؤمناً في كافر ولا ينصر كافرأ على مؤمن ، وإن ذمة الله واحدة يُجير عليهم أديانهم .
  - ٥ - إن المؤمنين بعضهم موالى بعض دون الناس ، وإنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم .
  - ٦ - إن سلم المؤمنين واحدة ، لا يُسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم .
  - ٧ - من اغتبط مؤمناً قتلاً عن بينة فإنه قود به إلا أن يرضى ولى المقتول ، وإن المؤمنين عليه كافة ولا يحل لهم إلا قيام عليه .

- ٨ - أن لا يجير مشرك مالا لقريش ولا نفساً ولا يحول دونه على مؤمن .  
 ٩ - أنه لا يخل لمؤمن أن ينصر محدثاً ولا يؤويه وأنه من نصره أو آواه عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل .  
 ١٠ - وأنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد ﷺ<sup>(١)</sup> .

وهكذا بدأت الحياة في المدينة تستقر دعائمها واطمئن الناس فيها على دينهم وأخذ النبي ﷺ يعلمهم دينهم وشرائعه وأحكامه ، وبعث السرايا وقام بالغزوات المتتابعة لنشر دين الله وحماية المدينة حتى صار للمسلمين قوة لا يستهان بها ولله الحمد والمنة .



(١) انظر سيرة ابن هشام ١ / ٢ - ٥ .

## الفصل الثامن :

## غزوات الرسول ﷺ

غزا رسول الله ﷺ سبعا وعشرين غزاة وقاتل في تسع : بدر ، وأحد ، والمريسيع والخندق وقريظة وخيبر والفتح وحنين والطائف وقيل أنه قاتل في بني النضير ، وفي غزاة وادي القرى منصرفه من خيبر وقاتل في الغابة<sup>(١)</sup> .

وها هي بعض المواقع والأحداث الإيمانية لبعض غزواته ﷺ باختصار لضيق المساحة والله المستعان .

## غزوة بدر الكبرى :

غزوة عظيمة ومن الغزوات التي جعلت للمسلمين قوة يخشاها الجميع . فقد علم النبي ﷺ بأن عيرا لقريش تحمل ثروات هائلة قادمة من الشام في طريقها لمكة بقيادة أبي سفيان وليس معه إلا أربعين رجلاً ووجدها النبي ﷺ فرصة عظيمة لاعتراضها والاستيلاء عليها تعويضاً لما أصاب أصحابه بترك أموالهم وديارهم مهاجرين إلى المدينة وعلم أبو سفيان أن النبي ﷺ سوف يعترضه فأرسل رسولاً إلى قريش يطلب النجدة والإنقاذ ، فقامت على بكرة أبيها وجهزت جيش بقيادة أبي جهل وكان عدد أفرادها ألف وثلثمائة مقاتل ومعه مائة فرس وجمال كثيرة .

ووجد النبي ﷺ وأصحابه وكانوا ثلاثمائة أنهم أمام معركة لم يستعدوا لها وكان المسلمون بين أمرين : إما أن يعودوا إلى المدينة ويتركوا القافلة حتى يجتنبوا محاربة قريش أو أن يتقدموا وما في هذا من خطورة لقله عددهم وعدم استعدادهم

(١) انظر صفة الصفوة ١ / ٦٣ .

ومن تواضعه ﷺ أن استشار أصحابه في الأمر فقام أبو بكر فقال وأحسن وكذلك عمر ثم قام المقداد بن عمرو رضى الله عنه فقال : يا رسول الله امض لما أمرك الله به فنحن معك والله لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى ﴿ اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ﴾ ولكن نقول اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ، فوالذى بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد ( موضع في أقصى اليمن ) لجالدنا معك دونه حتى تبلغه فقال له النبي ﷺ خيراً ودعا له وكان هذا حال المهاجرين ونظر إلى الأنصار فقال لهم : أشيروا على أيها الناس .

فقال سعد بن معاذ من كبار الأنصار : لكأنك تعيننا يا رسول الله قال نعم . قال : فقد آمننا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهدنا ومواثيقنا فامض يا رسول الله لما أردت ونحن معك ، فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا أحد وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً إنا لصبر في الحرب ، صدق في اللقاء لعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله فسر الرسول ﷺ لكلامه فقال : «سيروا وأبشروا فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين والله لكأنى الآن أنظر إلى مصارع القوم ) . هكذا كانت تعاليم النبي ﷺ في قلوب الصحابة وحبهم له وابتغاء مرضاته جعلهم أئمة يهدون إلى الحق ولا يخافون في الله لومة لائم أو كما وصفهم ابن القيم رهباناً بالليل فرساناً بالنهار . وتم النصر على الكفار وقتل من سادتهم وشرفائهم الكثير كآبى جهل وأميه بن خلف وعتبة بن ربيعة وابنه وأخيه شيبه ، وأيدهم الله بجنود من الملائكة .

### غزوة فتح مكة :

سبب هذه الغزوة نقض قريش للعهد الذى كان بينها وبين النبي ﷺ وعرف

(بصلح الحديبية) وقرر النبي ﷺ فتح مكة واستعد المسلمون بجيش قوامه عشرة آلاف مقاتل وسار النبي ﷺ حتى دخل مكة من أعلاها وأمر خالد بن الوليد فدخلها من أسفلها وقال : « إن عرض لكم أحد من قريش فاحصدهم حصداً حتى توافوني على الصفا ) وحدث بعض القتال في مكان يقال له الخندقة فأصيب من المشركين اثني عشر ثم انهزموا ولحق خالد بالنبي ﷺ عند الصفا .

ودخل رسول الله ﷺ المسجد والمهاجرين والأنصار بين يديه وخلفه وحوله فأقبل إلى الحجر الأسود فاستلمه ، ثم طاف بالبيت ، وفي يده قوس وحول البيت وعليه ثلاثمائة وستون صنماً فجعل يطعنهما بالقوس ويقول : ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [ الإسراء : ٨١ ] .

وحدث موقف عجيب يشرح الصدور ويزيد الإيمان في القلوب فعندما كان النبي ﷺ يطوف في البيت كان ( فضالة ابن عمير يترقب الفرصة لقتله ﷺ وهو يطوف وحدث نفسه بذلك فلما اقترب من النبي ﷺ باغته النبي ﷺ فقال : «أفضالة ؟ » قال : نعم ، فضالة يا رسول الله ، قال : « ماذا كنت تُحدث به نفسك ؟ » قال : لا شيء كنت أذكر الله . قال : فضحك النبي ﷺ ثم قال : «استغفر الله » ثم وضع يده على صدره فسكن قلبه فكان فضالة يقول : والله ما رفع يده عن صدرى حتى ما من خلق الله شيء أحب إلى منه ) .

صلى النبي ﷺ في الكعبة ثم قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ألا كل دم أو مائر ، أو مال يدعى فهو تحت قدمي هاتين إلا سدانة البيت وسقاية الحاج ، ألا وقتيل الخطأ شبه العمد بالسوط والعصا - ففيه الدية مغلظة مائة من الإبل أو أربعون منها في بطون أولادها .

ثم قال لقريش : يا معشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية

وتعظمها بالآباء : الناس من آدم وآدم من تراب ثم تلا قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [ الحجرات : ١٣ ] .

ثم قال : « يا معشر قريش ما ترون أنى فاعل بكم ؟ قالوا : خيراً ، أخ كريم وابن أخ كريم . قال : « اذهبوا فأنتم الطلقاء فعفا عنهم بعد أن أمكنه الله منهم .

ثم أمر النبي ﷺ بلال عندما حانت الصلاة أن يصعد فيؤذن على الكعبة . وارتفع صوته الله أكبر . . الله أكبر . أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله .

وظل النبي ﷺ بمكة تسعة عشر يوماً يجدد معالم الإسلام ويرشد الناس إلى الهدى والتقى وبث سراياه للدعوة إلى الإسلام وكسر الأصنام حول مكة ثم عاد إلى المدينة واستمر فيها حتى مات ﷺ .



## الفصل التاسع :

## صفات النبي ﷺ وشمائله

لقد كان النبي ﷺ مؤيداً من الله تعالى وفي رعايته وحمايته وإليك أخى القارئ صفاته الخلقية والخلقية كما رواها أصحابه رضوان الله عليهم والله المستعان .

## الصفات الخلقية للنبي ﷺ :

عن الحسن بن علي قال : سألت خالي هند بن أبي هالة ، وكان وصافاً عن حلية النبي ﷺ وأنا أشتهى أن يصف لي منها شيئاً أتعلق به فقال : كان رسول الله ﷺ فخماً مفخماً - أى العظيم المعظم في الصدور والعيون - يتلألاً وجهه تلالؤ القمر ليلة البدر ، أطول من المربع ، وأقصر من المشرب - أى الطويل ، عظيم الهامة ، رجل الشعر - الذى في شعره تكسر وليس ناعم ولا جعد ، إن انفردت عقيقته مزق وإلا فلا يجاوز شعره شحمة أذنيه إذا هو وفره ( العقيقة الشعر المجتمع في الرأس ) أزهر اللون - أى النير ، واسع الجبين ، أزج الحواجب - أى طويل امتدادها لوفور الشعر فيهما وحسنه ، سوابغ من غير قرن بينهما عرق يدره الغضب ، أقى العرنيين - أى الأنف في عظمه أحديداب في وسطه ، له نور يعلوه يحسبه من لم يتأمله أشم - الأشم الذى عظم أنفه طويل إلى طرف الأنف - كث اللحية ، سهل الخدين ، ضليع الفم - أى واسع الفم - مفلج الأسنان - أى متفرقات ، دقيق المسربة - أى له شعر دقيق كأنه قضيب من الصدر إلى السرة كأن عنقه جيد دمية في صفاء الفضة ، معتدل الخلق ، بادن متماسك - أى تام خلق الأعضاء ليس بمسترخى اللحم ولا كثيره ، سواء البطن والصدر ، عريض الصدر ، بعيد ما بين المنكبين ، ضخم الكراديس - أى رؤوس العظام - أنور المتجرد - أى نير الجسد ، إذا تجرد من الثياب والنير الأبيض المشرق موصول ما بين

الثديين واللبة والسرة بشعر يجرى كالخيط ، عارى الثديين والبطن مما سوى ذلك ، أشعر الذراعين والمنتكبين وأعلى الصدر ، طويل الزندين رحب الراحة ، شنن الكفين والقدمين سابل الأطراف - أو قال سائل الأطراف خمصان الأخمصين - أى رجله شديدة الارتفاع من الأرض إن أحمص والأخمص ما يرتفع من الأرض من وسط باطن الرجل مسيح القدمين - أى ليس بكثير اللحم فيها - ينبو عنهما الماء ، إذا زال زال قلعا ، والقلع : المشى بقوة يخطو تكفيا ويمشى هونا ذريع المشية إذا مشى كأنما ينحط من صيب وإذا التفت التفت جميعاً ، خافض الطرف ، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء جل نظره الملاحظة . . ثم ذكر باقى الحديث .

### صفاته الخلقية وشماتله الجليلة :

#### ذكر تواضعه :

عن عمر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تطرونى كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم ، فإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله » [البخارى].

#### ذكر معيشته في بيته :

- عن الأسود قال : قلت لعائشة : ما كان رسول الله ﷺ يصنع إذا دخل بيته ؟ قالت : كان يكون في خدمة أهله ، فإذا حضرت الصلاة خرج فصلى . نعم لقد كان ﷺ كما قال : « خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى » .

#### ذكر معاملته لأصحابه :

عن أنس خادم رسول الله ﷺ قال : خدمت النبي ﷺ عشر سنين فما قال لى أف قط ، ولا قال لشيء صنعته لم صنعته ؟ ولا لشيء تركته : لم تركته ؟ وكان لا يظلم أحداً أجره » [البخارى] . وله صلى الله عليه وسلم من الصفات الخلقية الكثير منها : حلمه وصفجه ، كرمه وجوده ، شجاعته ، مزاحه ومداعبته ، عدله وشدته في الحق ، حيائه ، شففته ورحمته بالناس ، عبادته واجتهاده . . . إلخ ونكتفى بهذا القدر من ذكر صفاته ﷺ لضيق المساحة والله المستعان .

## الفصل العاشر :

## أزواج النبي ﷺ

كان مما خص الله به نبيه ﷺ عن أمته أنه أحل له الزواج بأكثر من أربع زوجات ، فكان عدد من عقد عليهن ثلاث عشرة امرأة منهن تسع مات عنهن واثنتان توفيتا في حياته ، إحداهما خديجة والآخرى أم المساكين زينب بنت خزيمة ، واثنتان لم يدخل بهما وها هي أسماء أزواجه ﷺ :

- ١ - خديجة بنت خويلد ، وهي أول امرأة يتزوجها النبي ﷺ ولم يتزوج عليها حتى ماتت ، وهي أم أولاده كلهم عدا إبراهيم عليه السلام .
- ٢ - سودة بنت زمعة ، تزوجها بعد وفاة خديجة في مكة في شهر شوال .
- ٣ - عائشة بنت أبي بكر الصديق ، تزوجها بعد سودة وهي بنت ست سنين وبنى بها في شوال بعد الهجرة وهي بنت تسع سنين .
- ٤ - حفصة بنت عمر بن الخطاب ، تأممت من زوجها خنيس بن حذافة السهمي بين بدر وأحد فتزوجها النبي ﷺ لارضاء أبيها عمر .
- ٥ - زينب بنت خزيمة ، كانت تحت عبد الله بن حنش فلما استشهد في أحد تزوجها النبي ﷺ وماتت بعد الزواج بشهرين أو ثلاثة أشهر والله أعلم .
- ٦ - أم سلمة هند بنت أبي أمية ، كانت تحت أبي سلمة فلما مات تزوجها النبي ﷺ .
- ٧ - زينب بنت جحش وهي بنت عمه الرسول ﷺ ، وهي أول من توفي من زوجات النبي ﷺ بعد وفاته .

- ٨ - جويرية بنت الحارث كانت في سبي بنى المصطلق في سهم ثابت بن قيس فكاتبها فقضى رسول الله كتابتها وتزوجها .
- ٩ - أم حبيبة (رملة بنت أبي سفيان) .
- ١٠ - صفية بنت حيى بن أخطب وكانت من سبي خيبر فاصطفأها النبي ﷺ لنفسه فأعتقها وتزوجها بعد فتح خيبر .
- ١١ - ميمونة بنت الحارث تزوجها النبي ﷺ في عمرة القضاء .
- فهؤلاء إحدى عشرة سيدة تزوج بهن رسول الله ﷺ وبنى بهن وأما الاثنتان اللتان لم يبن بهما فواحدة من بنى كلاب وأخرى من كندة وهى المعروفة بالجونية .
- وأما السرارى فالمعروف أنه تسرى باثنتين إحداهما مازيا القبطية أهداها له المقوقس أنجبت له ابنه إبراهيم عليه السلام الذى مات صغيراً ، والثانية هى ريحانة بنت زيد النضرية أو القرظية وكانت من سبايا بنى قريظة فاصطفأها النبي ﷺ لنفسه وقيل بل هى من أزواجه أعتقها فتزوجها والله أعلم .



## الفصل الحادي عشر :

## معجزات النبي ﷺ ووفاته

معجزات النبي ﷺ كثيرة وها هي بعضها كعناوين مختصرة :

- ١ - أكبر المعجزات الدالة على صدقه والتي تظل إلى يوم القيامة هي : القرآن الكريم الذي لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله لم يقدرُوا .
  - ٢ - انشقاق القمر . ٣ - نبع الماء من بين أصابعه . ٤ - حنين الجذع له ﷺ . ٥ - تكثير الطعام له ﷺ . ٦ - معجزة الإسراء والمعراج . ٧ - معجزة شق الصدر . ٨ - سرعة الاستجابة لدعائه . ٩ - معجزة الشاة المسمومة وإخبارها إياه بأنها مسمومة . ١٠ - تسليم الحجر عليه ﷺ . ١١ - شهادة الذئب برسالته ﷺ .
- وهناك معجزات أخرى ولولا خشية الإطالة وقد قارب الكتاب على الانتهاء لشرحت وبينت هذه المعجزات ولله الحمد على كل حال .

## وفاته ﷺ ولحظاته الأخيرة :

- عن أنس بن مالك قال : ( أن أبا بكر كان يصلى بهم في وجع النبي ﷺ الذي توفي فيه ، حتى إذا كان يوم الإثنين وهم صفوف في الصلاة فكشفت النبي ﷺ ستر الحجر ينظر إلينا وهو قائم كأن وجهه ورقة مصحف ، ثم تبسم يضحك فهممنا أن نفتتن من الفرح برؤية النبي ﷺ فنكص أبو بكر على عقبيه ليصل الصف وظن أن النبي ﷺ خارج إلى الصلاة ، فأشار إلينا النبي ﷺ أن أتموا صلاتكم ، وأرخى الستر فتوفي في يومه ﷺ ) .

- وعن عائشة رضی الله عنها قالت : ( مات رسول الله ﷺ في بيتي ويومي وبين سحري ونحري فدخل عبد الرحمن بن أبي بكر ومعه سواك رطب

فنظر إليه فظننت أن له فيه حاجة ، قالت فأخذته فمضغته وطيبته ثم دفعته إليه فاستن كأحسن ما رأيت مستنًا قط ثم ذهب يرفعه فسقط في يده ، فجعلت أدعو الله عز وجل بدعاء كان يدعو له به جبريل عليه السلام ، وكان هو يدعو به إذا مرض ، فلم يدع به في مرضه ذاك ، فرفع بصره إلى السماء وقال : الرفيق الأعلى ، الرفيق الأعلى ، وفاضت نفسه فالحمد لله الذي جمع بين ريقى وريقه في آخر يوم من أيام الدنيا ) .

وإنا لله وإنا إليه راجعون كان موته ﷺ يوم الإثنين ١٢ ربيع الأول سنة ١١ هـ وقد تم ثلاث وستون سنة وزادت أربعة أيام .

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي الأمين محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء والمرسلين وسيد ولد آدم يوم القيامة صاحب لواء الحمد والمقام المحمود ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين .

وكتبه

سيد مبارك أبو بلال

١٨ شوال ١٤٢٣ هـ - ٢٢ ديسمبر ٢٠٠٢ م



## فهرس الكتاب

٣	.....	مقدمة المؤلف
٧	.....	الفصل الأول : حالة العرب قبل ميلاد النبي ﷺ
٩	.....	العادات السيئة والحالة الاجتماعية قبل الإسلام
١٢	.....	الفصل الثاني : الأسرة النبوية وميلاد النبي ﷺ
١٦	.....	مولد النبي ﷺ
١٧	.....	رضاع النبي ﷺ ومراضعه
١٩	.....	حادثة شق الصدر ووفاة أمه ﷺ
٢٠	.....	وفاة الجد الرحيم ورعاية عمه له ﷺ
٢٠	.....	حديث بحيرا الراهب
٢٣	.....	النبي ﷺ يتاجر بمال خديجة
٢٤	.....	بناء الكعبة وقضية التحكيم
٢٦	.....	الفصل الثالث : بدء الوحي والأمر بالتبليغ
٢٨	.....	فتور الوحي وعودته
٢٨	.....	نزول الوحي مرة ثانية
٢٩	.....	الأمر بالتبليغ والسابقون إلى الإسلام
٣١	.....	الجهر بالدعوة
٣٣	.....	الوليد بن المغيرة رسول قريش
٣٦	.....	أول هجرة في الإسلام
٣٨	.....	الهجرة الثانية إلى الحبشة
٣٨	.....	عام الحزن
٤٠	.....	النبي ﷺ يدعو أهل الطائف

٤٣	.....	الفصل الرابع : معجزة الإسراء والمعراج
٤٩	.....	الفصل الخامس : بيعة العقبة وطلائع الهجرة
٥٠	.....	بيعة العقبة الثانية
٥١	.....	طلائع الهجرة إلى المدينة
٥٣	.....	الفصل السادس : الهجرة إلى المدينة
٥٥	.....	النبي والصديق بقاء
٥٨	.....	الفصل السابع : جهود النبي ﷺ في المدينة
٦١	.....	الفصل الثامن : غزوات الرسول ﷺ
٦١	.....	غزوة بدر الكبرى
٦٢	.....	غزوة فتح مكة
٦٥	.....	الفصل التاسع صفات النبي ﷺ وشمائله
٦٥	.....	الصفات الخلقية للنبي ﷺ
٦٦	.....	الصفات الخلقية وشمائله الجليلة
٦٦	.....	ذكر تواضعه
٦٦	.....	ذكر معيشته في بيته
٦٦	.....	ذكر معاملته لأصحابه
٦٧	.....	الفصل العاشر : أزواج النبي ﷺ
٦٩	.....	الفصل الحادى عشر : معجزات النبي ﷺ ووفاته
٦٩	.....	وفاته ﷺ ولحظاته الأخيرة
٧١	.....	الفهرس